جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

تفسير سورة البروج

" دراسة تحليلية"

إعداد

د. محمد عبد الله محمد سرحان

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ-
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

تفسير سورة البروج "دراسة تحليلية"

محمد عبد الله محمد سرحان
قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية جامعة الأزهر مصر.
البريد الالكتروني Mohamed sarhan٩٠٠٨@gmail com

ملخص البحث

هذا البحث في تفسير سورة البروج يكشف عن بعض دلالاتها ولطائفها من خلال التفسير التحليلي لآياتها ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة أما التمهيد فيشتمل على التعريف بالسورة المباركة وذكر أسمائها ووجه تسميتها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها وترتيبها ونوعها وفضلها ومناسبتها لما قبلها ومقصودها الأعظم وأما الفصل الأول فهو بعنوان عظمة الله تعالى وقدرته وأما الفصل الثاني فهو بعنوان قصة أصحاب الأخدود وأما الفصل الثالث فهو بعنوان وعيد الله وتأكيده وذكر بعض صفات الله تعالى وأما الفصل الرابع فهو بعنوان تسلية النبي –صلّى الله عليه وسلّم– والصبر على تكذيب قومه وأما الخاتمة فتشتمل على أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات

الكلمات الافتتاحية – تفسير – سورة البروج – دراسة – تحليلية.

Interpretation of Surat Al-Buruj " An Analytical" Study

"Muhammad Abdulah Muhammad Sarhan
Department of interpretion and Quranis Sciences Faculty of Fundamentais of Religion and Dawah in Menoufa University of Al_ Azhar Egypt.
Mohamed sarhan٩٠٠٨@gmail. com - Email

Abstract:

This research on the interpretataion Surat Al-Buruj reveals some of its meanings and subtleties through the analytical interprtataion of its this research consists of an introduction and a preface four chapters and a conclusion As for the introduction it includes an introduction to blessed Surah mentioning its names the reason for naming it the number of its verses words and letters its type and its merits Its relevance to wate preceded it and its greater purpose The first cgapter is wntitled The Greatness and power of God Almighty The third chapter is entitled God s threat confirmation and mention of some of God s attributes The second chapter is entitled The story of the people of the Trench Come on As for the fourth it is entitled Consoling the Prophet may God bless and grant him pease and being Petient with the deniel of his people As for the conclusion it includes the most important lessons learned from the noble Surah then l concluded

The research with an index og sources and references And an index of topics

Keywords: - Interpretation - Surat Al-Buruj – Study - An Analytical

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه فجعله بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه أجمعين:

الحمد لله الذي جمعنا على القرآن، وألف بين قلوبنا بالقرآن، وهدانا إلى رحمته بالقرآن، فليس هناك مكان أشرف عند الله عز وجل من مكان تتلى فيه آيات الله، ولا زمان أفضل من زمان يقضى في بيان كتاب الله.

أما بعد:

فإن العناية بكتاب الله عز وجل ومذاكرته وتفهُّم معانيه وترسُّم هديه، نعمة من الله تبارك وتعالى.

ولذلك اصطلح العلماء – رحمهم الله – على تسمية هذا العلم بعلم التفسير، وإن عمَّموه قالوا: علم القرآن، وأرادوا بذلك العناية بكتاب الله عز وجل بمعرفة حدوده، والوقوف عند آياته وعظاته.

ومن ثم كان أشرف العلوم وأزكاها وأعلاها: علم تفسير كتاب الله بمعرفة حلاله وحرامه، ووعده ووعيده، وبشارته ونذارته، والوقوف على أحكامه، وتبيين مسائله وشرائعه، فالعناية بذلك كله توفيقٌ من الله تبارك وتعالى، ومنحةٌ وعطيةٌ من الله سبحانه وتعالى.

قال بعض السلف: ضَمِن الله عز وجل لمن قرأ كتابه، فأحل حلاله وحرم حرامه؛ أن لا يضل ولا يشقى، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

ومن هنا كانت وجهتي نحو سورة من سور القرآن ألا وهي سورة البروج، فيممت قلبي نحوها للكتابة فيها، والاقتباس من نورها، فهي تشتمل على الكثير من الأسرار والدلالات والهدايات، فقمت بكتابة هذا البحث للوقوف على بعض أسرارها والوقوف على شيء من اللطائف والمعارف، من خلال التفسير التحليلي لآياتها فكان هذا البحث المسمى ب (تفسير سورة البروج _ دراسة تحليلية_)

أهمية الموضوع:

التفسير التحليلي ترجع أهميته إلى:

١- كون التفسير التحليلي من أجمع التفاسير التي يطَّلع الباحث على كل ما قيل في الآية من اللغة والإعراب والبلاغة ومناسبة الآية، وسبب النزول، وغير ذلك كثير.

٢- اشتمال سورة البروج على كثير من القضايا التي تحتاج إلى دراسة تأصيلية فجاءت تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين وتشجيعًا لهم على تحملهم أذى قومهم، ثم ضربت لهم الأمثال بأصحاب الأخدود، وفرعون وثمود، وتخلل ذلك ما به تقر نفوس المؤمنين ببيان نهاية الكفار ونهاية المؤمنين، على أنها لم تغفل ذكر القرآن في نهايتها.

إشكاليات البحث:

ترد مجموعة من التساؤلات حول هذا البحث تحتاج إلى أجوبة منها:

١- ما السر في افتتاح السورة بالقسم بالسماء.

٢- ما دلالة ذكر الله – عز وجل- حالة الذين اعتدوا على المسلمين وحرقوهم وفتنوهم.

٣- لماذا ختمت السورة الكريمة بذكر القرآن الكريم.

حدود البحث:

حدُّ هذا البحث منصبٌ على تفسير سورة البروج تفسيرًا تحليلا، من خلال ذكر كل ما يتصل بالسورة الكريمة مما نصَّ علماء التفسير على إيراده في هذا النوع من التفسير.

أسباب اختيار الموضوع:

١- استيفاء هذه السورة الكريمة على صغرها في عدد الآيات لعدد من الموضوعات المهمة.

٢- تناول السورة الكريمة عددا من الموضوعات التي تأخذ بالألباب من حيث أن الله عز وجل يقسم بما يشاء من خلقه، والتذكير بالقيامة، وذكر ما حدث للأمم السابقة وما فعل الله عز وجل بهم من العذاب الأليم، وذكر الله عز وجل في السورة ما أعده للمؤمنين الصابرين، ثم ختمت السورة الكريمة بذكر القرآن الكريم، وأنه محفوظ في اللوح عنده.

٣- السورة الكريمة تضمنت عددا من المسائل المختلف فيها بين المفسرين مما يحتاج إلى عرض الأقوال ودراستها وبيان الراجح منها بالدليل والبرهان.

٤- اشتمال تفسير الآيات على عدد من الفوائد واللطائف المهمة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

اما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، وإشكالية البحث، وحدود البحث.

وأما التمهيد فيشتمل على خمسة مطالب للتعريف بالسورة الكريمة، وهي كالتالي:

المطلب الأول: نوع السورة الكريمة وعدد آياتها

المطلب الثاني: أسماؤها وسبب التسمية.

المطلب الثالث: مقصود السورة الأعظم.

المطلب الرابع: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الخامس: فضل سورة البروج.

وأما الفصل الأول: فهو بعنوان: عظمة الله تعالى وقدرته.

ويشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: القسم بالسماء ذات البروج.

المبحث الثاني: إقسام الله تعالى باليوم الموعود.

المبحث الثالث: القسم بالشاهد والمشهود.

وأما الفصل الثاني فهو بعنوان: قصة أصحاب الأخدود، ويشتمل على مبحثين: المبحث الأول: تعذيب الكفار للمؤمنين، والمبحث الثاني: وعيد الله عز وجل للطغاة المتكبرين وثوابه للمؤمنين الصابرين.

وأما الفصل الثالث فهو بعنوان: وعيد الله وتأكيده وذكر بعض صفات الله تعالى.

وأما الفصل الرابع فهو بعنوان: تسلية النبي – صلى الله عليه وسلم– والصبر على تكذيب قومه.

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

منهج البحث

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على تحليل النصّ تحليلًا وافيًا، ذاكرًا ما يتعلق بالآية من كل جهة، واتبعت في كتابته الخطوات التالية:

١- قمت بإعداد دراسة عامة عن سورة البروج، من حيث أسمائها، وعدد آياتها، وكلماتها، وحروفها، وترتيبها، ونوعها، وتحقيق القول فيما ورد في فضلها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وبيان المقاصد التي اشتملت عليها،

٢- قمت بعنونة كل مقطع أو مجموعة آيات من السورة بعنوان يلائمها.

٣- قمت بذكر وجوه المناسبات بين المقاطع المختلفة.

٤- بيَّنت الدلالات اللغوية لكلمات الآيات القرآنية.

٥- قمت بذكر بعض اللطائف البيانية، والصور البلاغية التي حوتها الآيات القرآنية.

٦- قمت بذكر الآثار الواردة في تفسير آيات كل مقطع إن وجدت، مع بيان درجتها من الصحة والحسن، أو الضعف معتمدًا في ذلك على بعض أقوال أهل العلم في الحكم عليها، فإن لم أجد من حكم عليها أجتهد في دراسة السند للحكم عليها.

٧- قمت بذكر بعض النكات التفسيرية التي ذكرها العلماء.

٨- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث على سورها، ذاكرًا اسم السورة، ورقم الآية في صلب البحث،.

٩- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن كذلك عزوته على مصادره مع بيان درجته، من الصحة او الحسن أو الضعف معتمدا في ذلك على أقوال العلماء الأجلاء من المتقدمين والمعاصرين في الحكم عليه.

١٠- وثقت القراءات القرآنية من مصادرها الأصلية، مع توجيه هذه القراءات من كتب توجيه القراءات وغيرها ما أمكن.

١١- وثقت النصوص المنقولة توثيقا علميا دقيقا من مصادرها الأصلية بذكر الجزء والصفحة.

١٢- التزمت في الكتابة بقواعد الإملاء الحديثة، إلا ما كان من آيات قرآنية فأثبته حسب رسم المصحف.

١٣- قمت بذكر بعض الدروس المستفادة من الآيات وذلك في نهاية كل فصل أو مبحث.

١٤- قمت بإعداد فهرس للمراجع، وفهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة

تفاسير القرآن لا شك أنها تتضمن تفسير سورة البروج ولكن كل مفسر حسب منهجه، فيركز في بعض الجوانب ويهمل الأخرى، وهذا لا يغني عن دراسة السورة دراسة تفصيلية تحليلية.

وبعد الاطلاع والبحث في عدد من قواعد البيانات المختلفة، والبحث على شبكة الانترنت، لم أقف على أي رسالة علمية تتناول التفسير التحليلي لسورة البروج بصورة مستقلة، ولكن وجدت دراسة بحثية تتناول هذه السورة بالدراسة البلاغية التحليلية المنوطة باستخراج كنوزها ودفائنها، واستجلاء دررها وجواهرها، فوجدت بحثين:

١-بحث بعنوان تدبر سورة البروج للأستاذة ريم عبد الفتاح، وهو بحث موجود على شبكة الانترنت، ولكن لم تتطرق الباحثة للتفسير التحليلي في هذا البحث ٢-بحث بعنوان: تفسير سورة البروج دراسة تحليلية، وهو بحث ترقية لدرجة الأستاذية، للأستاذ الدكتور أنور خطاب، استاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية بنات السادات، وهو منشور بحولية كلية اصول الدين بالمنصورة.

وقد حاولت قدر طاقتي أن يكون تفسيري لهذه السورة الكريمة سهل التناول، واضح المقصود، مفهوم العبارة بعيدا عن الغموض والإبهام، ومما لا شك أنني سأستفيد من جهود العلماء والكتّاب السابقين، وسأعمل على جمع أقوالهم وترتيبها ومقارنتها والترجيح بينها في حال الاختلاف، وذلك لإعطاء صورة متكاملة لفهم السورة الكريمة.

التعريف بالسورة الكريمة وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نوع السورة الكريمة وعدد آياتها:

سورة البروج، مكية باتفاق، وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات، وأربعمائة وخمسة وستون حرفا [١] قال ابن عطية: هي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك[٢]، ولم يذكر خلاف في مكيتها ولا في عدد آياتها[٣]

وترتيبها في المصحف السابعة والعشرين في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الشمس وقبل سورة «التين، أما في ترتيب العد المُصحفي فترتيبها الخامسة والثمانون[٤]

المطلب الثاني: أسماؤها وسبب التسمية:

لسورة البروج اسمان الأول: تسمى سورة البروج وسميت بالبروج لقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾، وهذه التسمية لهذه السورة الكريمة إنما هي

---

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٦٤/١٠) لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، وينظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٤٤/٢٠) لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، وينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٣ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٦٠/٥)، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

(٣) ينظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، (٣٤١/٨) المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)دار النشر: دار صادر – بيروت

(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٨٣)

من باب تسمية الشيء بما ورد فيه، فتسمية سور القرآن بما ورد فيها من الحوادث، أو بما ورد فيها من الأحكام المهمة؛ وهو منهج موجود في كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك سميت بهذا الاسم لشرف الآية المذكورة، قال العلماء: إن تسمية السور بما ورد فيها يعتبر من باب الدلالة على ذلك الجزء المسمى به، سواء كان حكماً، أو كان قصةً، أو كان خبرا.

قال الإمام الزحيلي: سميت سورة البروج، لافتتاحها بقسم الله بالسماء ذات البروج: وهي منازل الكواكب السيارة في أثناء سيرها(١)

والثاني: تسمى سورة والسماء ذات البروج، وقد اشتهرت بهذه التسمية في المصاحف وكتب السنة فقد جاءت هذه التسمية في مسند أحمد وأبي داود وغيرهما، أخرج الطيالسي، وَابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وحسنه النسائي، وَابن حبان والطبراني والبيهقي في "سُنَنِه"، عَن جَابر بن سمرة أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج(٢).

وسبب التسمية واضحة جلية وذلك لذكر أول جملة فيها.

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٥١/٣٠)، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ

(٢) رواه أبو داود (٨٠٥)، والترمذي (٣٠٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي ٢/ ١٦٦.

المطلب الثالث: مقصود السورة الأعظم:

المقصود من هذه السورة تسلية النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في التكذيب ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر وهو قوله ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج٢٠] ذكر وجهاً ثالثاً وهو أن هذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ ممتنع التغيير وهو قوله ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج٢١] فهذا ترتيب السورة(١)

٢-أقسم الله -سبحانه- في أول السورة ببعض مظاهر قدرته على أن الكافرين الذين يؤذون المؤمنين ليردوهم عن دينهم مطرودون كما طرد من سلك مسلكهم ممن سبقهم: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾.

٣ – بينت السورة أن الصامدين من المؤمنين الذين عُذبوا ما كان ذنبهم إلا إيمانهم بالله، وذكرت الوعيد للكافرين، والوعد للمؤمنين الصابرين: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

٤ – ذكرت السورة بعض صفاته – تعالى – كقُوَّته وبطشه بالجبابرة، وبالجموع الطاغية من قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين، وأن قوم الرسول يكذبونه والله من ورائهم محيط: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾(٢).

٤ – وخُتِمت السورة ببيان عظمة القرآن وأنه في لوح محفوظ لا تصل إليه يدٌ بتحريف، ولا قوة بتغير: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠٤/٣١)، للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠، الطبعة: الأولى.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط (١٠/ ١٨٥٢).

المطلب الرابع: مناسبتها لما قبلها

هي معرض من معارض يوم القيامة، فكان سياقها مع ما سبقها، سياق الجزء من الكل[١] واشتمالها – كالسورة التي قبلها (سورة الانشقاق) على وعد المؤْمنين، ووعيد الكافرين. والتنويه بشأن القرآن ورفعة شأْنه[٢].

وجاء في البحر المحيط: هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها: لما ذكر أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلّم وللمؤمنين من المكر، والخداع، وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى، كالضرب، والقتل، والصلب، والحرق بالشمس، وإحماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه؛ ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار، وأن أولئك الذين أعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا، وأن أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون، فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون. فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب[٣].

وتتعلق السور بما قبلها من وجوه ثلاثة:

١- التشابه في الافتتاح بذكر السماء، ولهذا ورد في الحديث ذكر السماوات مرادا بها السور الأربع، كما قيل في المسبّحات. وتلك السور هي الانفطار والانشقاق، والبروج، والطارق.

٢- اشتمال السورتين على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين، والتنويه بعظمة القرآن.

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن(١٥١١/١٦)، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم(١٨٥٢/١٠)، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ٣٣٧)

٣- تضمنت السورة السابقة أن الله عليم بما يجمع المشركون في صدورهم للنبي صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين معه من أنواع الأذى المادي، كالضرب والقتل والتعذيب في حر الشمس، والأذى المعنوي، من حقد وحسد، وعداوة، ومكر، وخوف على فوت المنافع، وذكر في هذه السورة أن هذا شأن من تقدمهم من الأمم الكافرة الفاجرة. وفي هذا عظة للمشركين وتثبيت للمؤمنين(١).

ومن مناسبتها بسابقتها سورة الانشقاق ان كلًا منهما افتتح بذكر السماء، والله تعالى أعلم

المطلب الخامس: فضل سورة البروج:

مما ورد في فضائل هذه السورة: ما أخرجه أحمد بسنده عن أبي هريرة: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق.

وما أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة في "المصنف" وأحمد والدارمي وأبو داوود والترمذي وحسنه، والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي في "سننه" عن جابر بن سمرة: أن النبي – صلى الله عليه وسلم –: كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق، والسماء ذات البروج(٢).

ولا شك أن جميع سور القرآن لها من الفضل والمنزلة العلية، لأنها كلام الله عز وجل.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٥١)

(٢)رواه أبو داود (٨٠٥)، والترمذي (٣٠٧) وقال: حسن صحيح والنسائي ٢/ ١٦٦.

التفسير التحليلي لسورة البروج:

الفصل الأول: عظمة الله تعالى وقدرته، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القسم بالسماء ذات البروج:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١-٩]

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر وما يرومون من الأنكاد للأولياء وتوعدهم بما لا يطيقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم، وبالغوا في التضييق عليهم حتى ألجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيره من البروج في البلاد، ومفارقة الأهل والأولاد، ابتدأ هذه بما أوقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل على وجه معلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا، وذلك لتسلية المؤمنين وتثبيتهم، وتوعيد الكافرين وتفتيتهم، فقال مقسماً لأجل إنكارهم وفعلهم في التمادي في عداوة حزب الله فعل المنكر أن الله ينتقم لهم بما يدل على تمام القدرة [1]

(١) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٦١)

وذُكرت بعد سورة الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء، قال السيوطي: هما متآخيتان فقرنتا، وقدمت الأولى لطولها، وذكرت بعد الانشـــقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء؛ ولهذا ورد في الحديث ذكر السماوات مرادًا بها السور الأربع[١]

ثانيًا: معاني المفردات:

الواو: حرف قسـم، السـماء: كل ما ارتفع فوق رأسـك، والمراد به هذا الكون الذي فوقك وفيه الشـــمس والقمر وســـائر الكواكب التي تجرى في مجاريها[٢] ويلخص هذا المعنى الخليل بن أحمد فيقول: والسّماء: سقف كلِّ شيء، وكلّ بيت[٣].

وذكر ابن منظور في لسـان العرب أن السَّـماءُ سـقفُ كلِّ شـيء وكلِّ بيتٍ وتُجْمَع سَماءً وسَمَواتٍ وقال الزجاج السماءُ في اللغة: كلّ ما ارتَفع وعَلا، وكلُّ سقفٍ فهو سَماءٌ ومن هذا قيل للسحاب السماءُ لأَنها عاليةٌ والسماءُ كلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ[٤]

والبروج أصـلـه: سـعة العين وحُسـنها [٥] والبروج: منازل السـيارات الاثني عشـر المعروفة التي جمعها بعضـهم فى قوله: حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان و رمى عقرب بقوس لجدّى نزح الدلو بركة الحيتان

فهى الحمل والثور والجوزاء والسـرطان والأسـد والسـنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وهى منازل الكواكب السـيارة السـبعة وهى: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة: ولها الثور والميزان، وعطارد: وله الجوزاء والسنبلة، والقمر:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند "٢/ ٣٢٧" عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء؛ يعني: السور الأربع المفتتحة بذكر السماء.

(٢) ينظر: مفردات القرآن للشيخ المراغى (ص: ١٠٩٥)

(٣) ينظر: كتاب العين للفراهيدي (٥/ ٨١)

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢١٠٧)

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ١٢٦)

و له السرطان، والشمس: ولها الأسد، والمشترى: وله القوس والحوت، وزحل: وله الجدى والدلو. وهى فى الأصل القصور العالية[١].

وذكر الأصفهاني أن البروج: القصور، وقيل: الكواكب، الواحد: برج، وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾ [البروج: ١]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان:٦١]

ثالثًا: إعراب الآية:

الواو حرف جر وقسم مبني على الفتح، و (السماء) اسم مجرور بواو القسم وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم، و(ذات) صفة للسماء مجرور وعلامة جره الكسرة، البروج مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة[٢]

رابعًا: أوجه التفسير في المراد بالبروج:

والسماء ذات البروج أي القصور كما قال ابن عباس وغيره والمراد بها عند جمع البروج الاثنا عشر المعروفة وأصل البرج الأمر الظاهر ثم صار للقصر العالي لأنه ظاهر للناظر ويقال لما ارتفع من سور المدينة برج أيضا وبروج والسماء بالمعنى المعروف وإن التحقت بالحقيقة في الأصل استعارة فإنها شبهت بالقصور لعلوها ولأن النجوم نازلة فيها كسكانها استعارة مصرحة تتبعها مكنية وقيل شبهت السماء بسور المدينة فأثبت لها البروج[٣]

(١) ينظر: مفردات القرآن للشيخ المراغى (ص: ٦٥٢)

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٤٣٠)

(٣) ينظر: روح المعاني – الألوسي (٣٠/ ٨٥)

وذكر المفسرون في معنى البروج أقوالًا كثيرة منها:

القول الأول: وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ أي: ذات النجوم[١]

القول الثاني: ذات البروج أي: ذات الكواكب والنجوم[٢] ورجحه الزحيلي فقال: وأشهر الأقوال أنها منازل الكواكب، وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكب[٣].

القول الثالث: البروج هي بروج السماء الاثنا عشر، وهي قصور السماء على التشبيه[٤].

القول الخامس: ذات البروج أي: ذات الخلق الحسن، ذكره القرطبي في تفسيره[٥].

والذي يظهر لي والله تعالى اعلم أن هذه الأقوال كلها محتملة فالأقوال سالفة الذكر كلها محتملة ومرادة، ولا تناقض بينها، والقول بالعموم أولى من التخصيص، ويؤيد ذلك أيضًا القاعدة الترجيحية التي تقول: يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص [٦]

خامسًا: المعنى الإجمالي للآية:

أقسم الله تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام، وأشهر الأقوال أنها منازل الكواكب، وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبا.

وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يوما. أقسم الله بها تنويها بها وتعظيما وتشريفا لها، حيث نيط بها تغيرات في الأرض بحلول الكواكب

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٤٧) تفسير السمعاني (٦/ ١٩٤)

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٠٧) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٦٣) أوضح التفاسير (١/ ٧٤١)

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٥٧)

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٢٩) تفسير النسفي (٤/ ٢٦٥).

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٣)

(٦) ينظر: قواعد الترجيح (٥٢٧/٢)

فيها، فينشأ عنها الفصول الأربعة، وما فيها من حرارة وبرودة، وينشأ عنها عدد السنين والحساب[1].

وتتجلى عظمة الله عز وجل وقدرته في ارتفاع السماء وعلوها وإمساكها، وفي بروج السماء الاثنا عشر التي ينشأ عنها الفصول الأربعة ويعرف بها عدد السنين والحساب.

سادسا: ما ترشد إليه الآية:

١-طلاقة قدرة الله عز وجل في خلقه للسماء وارتفاعها وعلو أبراجها.

٢-عظمة الله تعالى، وأنه مستحق للعبادة دون غيره.

(١) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٣)

المبحث الثاني: إقسام الله تعالى باليوم الموعود

قال تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها:

يقول البقاعي: ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على بعث قال تصريحاً: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة الذي تحقق الوعد به وثبت ثبوتاً بما دل عليه من قدرتنا في مخلوقاتنا وأنا سببنا له أسباباً هي عتيدة لديكم وأنتم لا ترونها ولا تحسون شيئاً منها ولم تبينها لكم الرسل لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التي ألفتموها على مثلها من غير فرق غير أنه وإن كان العقل لا يستقل به ولا يفقه منه غير السماء للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه[1].

وأما مناسبة القسم باليوم الموعود فلأنه يوم القيامة باتفاق أهل التأويل لأن الله وعد بوقوعه قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾[المعارج: ٤٤] مع ما في القَسم به من إدماج الإيماء إلى وعيد أصحاب القصة المقسَم على مضمونها، ووعيد أمثالهم المعرَّض بهم[2]. وفيه إشارة على أن الله الذي خلق السموات قادر على أن يبعث الموتى ويعيدهم في يوم القيامة وهو اليوم الموعود.

ثانيًا: معاني المفردات:

لفظ (اليوم) زمن مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها[3] وقد يعبر به عن مدة من الزمان: أي مدة كانت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى

---

(١) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٦٢)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ٥٣)

(٣) ينظر: المعجم الوسيط .(٢/ ١٠٦٧)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٥٥٢).

ٱلْجَمْعَانِ﴾[سورة آل عمران، الآية ١٥٥]، وقال الله تعالى:. وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ. [سورة النحل، الآية ٨٧].

ويعبر به عن الوقت الحاضر، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[سورة المائدة، الآية ٣] واليوم (في الفلك): مقدار دوران الأرض حول محورها، ومدتها: أربع وعشرون ساعة(١).

الموعود: الوعد يكون في الخير والشر. يقال وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا وميعادا، والوعيد في الشر خاصة. يقال منه: أوعدته، ويقال: واعدته وتواعدنا. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ [القصص: ٦١]، ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠]، ﴿ وعد الله الذين آمنوا ﴾ [المائدة: ٩] إلى غير ذلك(٢). واليوم الموعود هو يوم القيامة (٣)

ثالثًا: إعراب الآية:

قوله " واليوم ": اسم معطوف على " السماء " (٤). الموعود نعت مجرور لليوم(٥)

رابعًا: أوجه التفسير في الآية:

اليوم الموعود" وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين(٦)، يقول الألوسي: وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ

(١) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (٣/ ٥٢١)

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . (٢/ ٥٢١)

(٣) ينظر: المعجم الوسيط. (٢/ ١٠٤٣)

(٤) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (٤/ ٣١٤)

(٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٢/ ٨٠٩)

(٦) ينظر: "المحرر الوجيز" (١٥/ ٣٨٤)، و"الجامع" (١٩/ ٢٨١)، و"تفسير السمعاني" (٦/ ١٩٤).

أي الموعود به وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين(١) وهو المُقْسَمُ به وعليه، كما أنَّ القرآن يُقْسَمُ به وعليه.

ولذا يقول ابن القيم، وفي عطف القسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو من الغيبيات معطوف على القسم بالسماء ذات البروج _ وهي مشاهدة للعيان_ وفي ذلك إبراز لهذا اليوم العظيم الموعود به في صورة الموجود المشاهد، ولذا يقول ابن القيم: فالإقسام به عند من آمن بالله كالإقسام بالسماء وغيرها من الموجودات المُشَاهَدَةِ بالعِيَان(٢)

وعُرِّف اليوم هنا بالألف واللام للدلالة على العهد، أي اليوم الموعود في أذهاننا وهو اليوم الذي اخبرنا به المولى عز وجل في كتابه الكريم

خامسًا: المعنى الإجمالي للآية:

أقسم الله تعالى بما هو غيب صرف، وهو اليوم الموعود وما يكون فيه من حوادث البعث والحساب والعقاب والثواب (٣). وهو يوم الفصل والجزاء الذي وعد الله به على ألسنة رسله، وهو واقع لا محالة، وفيه يتفرد ربنا بالملك والحكم.

سادسا: ما ترشد إليه الآية:

١- أن اليوم الموعود وهو يوم القيامة واقع حتماً، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأنبياء: ١٠٤]. فيجب الإيمان به.

٢- أنه تعالى له يقسم بما شاء من خلقه، أما نحن فلا نقسم إلا بالله بأسمائه وصفاته، ولا نقسم بشيء من المخلوقات.

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢٩٥

(٢) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (١/ ١٤٠)

(٣) ينظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٩٩)

المبحث الثالث: القسم بالشاهد والمشهود

قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ٣]

أولًا: مناسبة الآية لما قبلها:

المناسبة ظاهرة واضحة ففي اليوم الموعود يقف الجميع أمام الله تعالى ليحكم بينهم ويقيم الحجة عليهم بالشهادة، وكفى بالله شهيدا، يقول الزحيلي: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ۝٣﴾ أي وأقسم بيوم القيامة الموعود به، وبمن يشهد في ذلك اليوم، ومن يشهد عليه. وهذا إن كان ذلك مأخوذا من الشهادة. فإن كان مأخوذا من الحضور بمعنى أن الشاهد هو الحاضر، كقوله: ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، فالشاهد: الخلائق الحاضرون للحساب، والمشهود عليه: اليوم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣﴾ [هود ١١: ١٠٣] فالله يقسم بالخلائق والعوالم الشاهد منها والمشهود، لما في التأمل بها من تقدير عظمة تدل على الموجد(١).

قال الطاهر بن عاشور في مناسبة الآية: وشاهد ومشهود (مراد بهما النوع. فالشاهد: الرائي، أو المخبر بحق لإلزام منكره. والمشهود: المَرئي أو المشهود عليه بحق. وحذف متعلق الوصفين لدلالة الكلام عليه فيجوز أن يكون الشاهد حاضرَ ذلك اليوم الموعود من الملائكة قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١﴾ [ق: ٢١]، ويجوز أن يكون الشاهد الله تعالى ويؤيده قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] أو الرسل والملائكة (٢).

وجاء في نظم الدرر: ولما كان الجمع لأجل العَرض، وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود، قال منكّراً للإبهام للتعظيم والتعميم مثل ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ [التكوير: ١٤]: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ أي كريم من الأولياء ﴿وَمَشۡهُودٍ

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٥٨)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ٥٤)

﴿٣﴾ أي في نفسه من الأعيان والآثار الهائلة، أو عليه فإنه يوم تشهده جميع الخلائق، ويحضر فيه من العجائب أمور يكل عنها الوصف، ويحضره الأنبياء الشاهدون وأممهم المشهود عليهم، ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلاّ أحصيت، وفي ذلك أشد وعيد لجميع العبيد [١].

ثانيًا: معاني المفردات:

الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة[٢]

و (شاهد) وهو يوم الجمعة سيد الأيام كلها، ومشهود يوم عرفة) وقيل: الشاهد النبي – صلى الله عليه وسلم – والمشهود يوم القيامة[٣].

والشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأُصُولَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ[٤].

ثالثًا: إعراب الآية:

الواو: حرف عطف، شاهد: اسم معطوف بالواو على السماء مجرور وعلامة جره الكسرة، ومشهود: اسم معطوف على كلمة شاهد[٥]

رابعًا: أوجه التفسير في الآية:

ذكر المفسرون في تفسير الآية أقوالًا كثيرة في معنى الشاهد والمشهود

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٩/ ١٢)

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٠٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ١٠٤٥)

(٣) الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ١٠٤٧)

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٢١)

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٤٣٠)، إعراب القرآن للدعاس (٣/ ٤٣٤)

الأول: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، وهذا القول ذكره الصنعاني[١] وغيره[٢]

الثاني: أن الشاهد: النبي –صلى الله عليه وسلم – وأن المشهود: القرآن، وهذا القول ذكره التستري[٣]

الثالث: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود هو الخلق، قال الماتريدي: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود هو الخلق، واستدل على ذلك بقوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧] [٤]. وذكر هذا القول القشيري فقال: قوله جل ذكره: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» يقال: الشاهد الله، والمشهود الخلق[٥]. وذكر هذا القول كثير من العلماء[٦]

الرابع: الشاهد: العبد، والمشهود عليه أفعاله. وهذا القول ذكره السلمي[٧] وغيره[٨]

الخامس: أن الشاهد الجوارح، والمشهود النفس، وهذا القول ذكره الماوردي[٩]

---

(١) ينظر: تفسير الصنعاني (٣/ ٣٦١)

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤١٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٠٧) بحر العلوم (٣/ ٥٦٣) التفسير البسيط (٢٣/ ٣٨٠) تفسير السمعاني (٦/ ١٩٤)

(٣) ينظر: تفسير التستري (ص: ١٩١)

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٨٢)

(٥) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٧٠٩)

(٦) ينظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٣٣) التفسير المظهري (١٠/ ٢٣٥)

(٧) ينظر: تفسير السلمي (٢/ ٣٨٦)

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٤٦٧)

(٩) ينظر: النكت والعيون (٦/ ٢٤١)

السادس: المراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه(١).

السابع: المراد بالشاهد: الرائي للأشياء، المُحِسّ بها، حيث يشهدها واقعة في حواسه. والمشهود: ما يقع عليه الحسّ البصري من عوالم المخلوقات، في الأرض وفى السماء(٢). قال الطاهر بن عاشور: وشاهد ومشهود مراد بهما النوع. فالشاهد: الرائي، أو المخبر بحق لإلزام منكره. والمشهود: المرئي أو المشهود عليه بحق(٣)

والذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن لفظ الشاهد والمشهود أعم من ذلك، قال الشنقيطي: قوله تعالى: وشاهد ومشهود، لم يصرح هنا من الشاهد وما المشهود، وقد ذكر الشاهد في القرآن بمعنى الحاضر، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ [الأنعام: ٧٣].

وذكر المشهود بمعنى المشاهد باسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾[هود: ١٠٣] فالشاهد والمشهود قد يكونان من المشاهدة، وذكر الشاهد من الشهادة، والمشهود من المشهود به أو عليه، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾[النساء: ٤١]، فكلمة شهيد الأولى: أي شهيد على الأمة التي بعثت فيها، وشهيد الثانية: أي شاهد على الرسل في أممهم، قال ابن جرير ما ملخصه: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة أو النحر، وعزاه لعلي وأبي هريرة، والشاهد: محمد – صلى الله عليه وسلم – والمشهود: يوم القيامة. وعزاه لابن عباس والحسن بن علي. والشاهد:

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١٦/ ٣٦٧) البحر المديد (٨/ ٤٢٠)

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٥١٢)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٨)

الإنسان، والمشهود: يوم القيامة وعزاه لمجاهد وعكرمة. والشاهد: هو الله، والمشهود: هو يوم القيامة، وعزاه لابن عباس. ثم قال: والصواب عندي أنه صالح لكل ما يقال له مشاهد، ويقال له مشهود، فلم يفصل ما إذا كان بمعنى الحضور، أو الشهادة، ومثله القرطبي وابن كثير(١).

وكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه به على نظيره; فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق(٢) فجميع ما قيل من الأقوال يدخل في ذلك ولا تعارض بينهم.

خامسًا: المعنى الإجمالي للآية:

أقسم سبحانه بجميع ما خلق في هذا الكون مما يشهده الناس ويرونه رأى العين، فمنهم من يتدبر ويستفيد من النظر إليه، ومنهم من لا يستفيد من ذلك شيئا.

وقصارى ذلك: أنه سبحانه وتعالى أقسم بالعوالم كلها ليلفت الناظرين إلى ما فيها من العظم والفخامة، وليعتبروا بما حضر، ويبذلوا جهدهم في درك حقيقة ما استتر(٣).

سادسا: ما ترشد إليه الآية:

١-في بعض الأقوال في الشاهد والمشهود يوم الجمعة ويوم عرفة وهذا مما يدل على فضل وعظم هاذين اليومين.

٢-البعث والحشر والنشر عقيدة ثابتة وواقعة لا محالة.

٣-الاستعداد التام ليوم البعث بالتوبة والرجوع غلى الله تعالى.

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٤٧٧)

(٢) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير) (ص: ٤٢)

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٨٩)

الفصل الثاني: قصة أصحاب الأخدود

يشتمل على مبحثين، الأول: تعذيب الكفار للمؤمنين

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨ [البروج: ٤ – ٨]

أولًا: مناسبات الآيات

قال الرازي: اعلم أنه لا بد للقسم من جواب، وجوابه على ما ذكره الأخفش وهو قوله: ﴿ قتل أصحاب الاخدود ﴾[١]

ولمَّا كان جواب القسم على ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها: وهو تسلية للمؤمنين وتثبيتاً لهم بما وقع لأمثالهم، وتحذيراً مما كان لأشكالهم [٢].

ولما قدَّم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود، وأن الكافرين شهود على أنفسهم، زاد في التحذير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فهو لا يحتاج إلى غيره، ولكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه فقال: (والله) أي الملك الأعظم الي له الإحاطة الكاملة) على كل شيء) أي هذا الفعل وغيره) شهيد) أي أتم شهادة لا يغيب عنه شيء أصلاً، ولا يكون شيء ولا يبقى إلا بتدبيره، ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلاً، بل لا بد ان ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه[٣]

ثانيًا: معاني المفردات:

قُتل: القتل أصله: إزالة الروح عن الجسد كالموت[٤] ومنه اللعن، فقوله تعالى:

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) (٣٢/ ١٩٣)

(٢) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٣٧٨)

(٣) ينظر: المرجع السابق (٨/ ٣٧٩)

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٣/ ٢٥٤)

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنَ أَصحابُ الحَفْرِ الَّذين حَفَرُوهُ وعذَّبوا المؤمنين فيه بالنّارِ(١)

والخد وَالْأُخْدُود: شقان مستطيلان غامضان فِي الأَرْض(٢) وذكر الهروي أن الأخاديد: هي الشقوق في الأرض، واحدها: خد وأخدود(٣). وجاء توضيح ذلك في جمهرة اللغة: أن أُخدود مفرد: جمع أخاديدُ وخُدَد: وهو شَقٌّ مستطيل غائر في الأرض، أو فتحة عميقة أو حُفرة في الأرض وخاصَّة فوق سطح الأرض(٤).

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾[البروج: ٥]: قال الأزهري: وقوله: النار ذات الوقود معناه التوقد فيكون مصدرا أحسن من أن يكون الوقود بمعنى الحطب. وقال ابن السكيت: الوقود؛ بالضم الاتقاد(٥).

وجاء في لسان العرب أن الوَقُود معناه التَّوَقُّدُ فيكون مصدراً أَحسن من أَن يكون الوقود الحطب(٦)

والقعود يقابل به القيام ومنه اذكروا الله قياما وقعودا ويعبر عن المتكاسل بالقاعد ومنه ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾[النساء: ٩٥] ويعبر عن الترصد للشيء بالقعود نحو لأقعدن لهم(٧)

---

(١) ينظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول (٥/ ٣٣٨)

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ١٠٤)

(٣) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث (٢/ ٥٣٦)

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦١٧)

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٢٥٥،) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٣/ ٢٦٧)

(٦) ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٦٥)

(٧) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٥٨٨) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة (٢/ ٢٥٤)

والنقمة: الْمُكَافَأَة بالعقوبة. ونقم الشَّـيْء، ونقمه: أنكرهُ، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [1]. وجاء في معجم اللغة المعاصرة: نقَم على جاره: اشتدّ سُخْطُه عليه "نقَم على صديقه تصرُّفَه: أنكره وعابه عليه".

نقَم عليه كذا/ نقَم منه كذا: أنكره وعابه "نقَمتِ الإدارةُ من أحد موظَّفيها لاستهتاره بالنّظام- ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾[2]

ونقمت الشيء ونقمته: إذا أنكرته؛ وإما باللسان؛ وإما بالعقوبة. قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[التوبة: ٧٤]، ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾[البروج: ٨][3]

ثالثًا: إعراب الآيات:

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾[البروج: ٤]

قال مكي بن أبي طالب: قَوْله تَعَالَى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ جَوَابه قتل أَصْحَاب الْأُخْدُود أَي لقتل وَقيل جَوَابه إِن بَطش رَبك لشديد وَقيل الْجَواب مَحْذُوف[4]

قُتل: فعل ماض مبني للمجهول

أصحاب: نائب فاعل مرفوع بالضمة

الأخدود: مضاف إليه مجرور بالكسرة

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٤٥٦)

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٧٥)

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٣/ ٤٨٥)

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٨٠٩) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٨٠)

النار " بدل اشـتمال من " الأخدود "، والضـمير العائد على المبدل منه مقدر أي: النار فيه[١]

إذ ": ظرف متعلق بـــــ " قتل "، وجملة " هم عليها قعود " في محل جر مضـاف إليه، الجار " عليها " متعلق بـ " قعود "

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧﴾ الجار " على " متعلق بـ " شهود ".

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾

جملة " وما نقموا " معطوفة على جملة " هم شـهود "، والمصـدر المؤول مفعول به لـ " نقموا ". " العزيز الحميد " نعتان.

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾

" الذي ": نعت ثالث للجلالة، وجملة " والله على كل شـئ شـهيد " مستأنفة، الجار " على كل " متعلق بـ " شهيد "[٢]

رابعًا: أوجه التفسير في الآيات:

اختُلِف في تأويل قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾ فمنهم من صـــرفه إلى المعَذَّبين. ومنهم من صرفه إلى المعَذِّبين.

فمن صـرف إلى المعَذِّبين حمل قوله: (قُتِلَ) على اللعن؛ أي: لعنوا؛ كقوله تعالى: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ)، أي: لعنوا.

ومن صرفه إلى الذين عذبوا، حمله على القتل المعروف[٣].

---

(١) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (٤/ ٣١٥)

(٢) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (٤/ ٣١٥)

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٨٣)

فالقتل هنا يأتي بمعني اللعن، قال السمرقندي: قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ يعني: لعن أصحاب الأخدود[١] وإلى هذا القول ذهب الإمام مكي بن أبي طالب[٢] وغيره[٣]

فعلي هذا المعني يكون القتل بمعنى اللعن إذا صرف إلى المعَذِّبين.

ويأتي بمعنى القتل وهو إزالة الروح عن الجسد وذكر ذلك القول البغوي[٤]

وأصحاب الأخدود اختلف العلماء فيهم فقال ابن الجوزي: واختلف العلماء فيهم على خمسة أقوال:

الأول: أن ملكًا كان له ساحر فبعث إليه غلاما يعلمه السحر وكان الغلام يمر على راهب فأعجبه أمره فتبعه فعلم به الملك فأمره أن يرجع عن دينه فقال لا أفعل فاجتهد الملك في إهلاكه فلم يقدر فقال الغلام لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به اجمع الناس في صعيد واحد واصلبني على جذع وارمني بسهم من كنانتي وقل بسم الله رب الغلام ففعل فمات الغلام فقال الناس آمنا برب الغلام فخد الأخاديد وأضرم فيها النار وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ففعلوا وهذا مختصر [٥]

والثاني: أن ملكا من الملوك سكر فوقع على أخته فلما أفاق قال لها ويحك كيف المخرج فقالت له اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله عز و جل قد أحل نكاح الأخوات

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٥٦٣)

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٧٤)

(٣) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٧١٠) تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص: ٤٤٦)

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٣٧)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحيه، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ٤/٢٢٩٩(٣٠٠٥)

فإذا ذهب هذا في الناس وتناســـوه خطبتهم فحرمته ففعل ذلك فأبوا أن يقبلوا ذلك منه فبسط فيهم السوط ثم جرد السيف فأبوا فخد لهم أخدودا وأوقد فيه النار وقذف من أبى قبول ذلك قاله علي بن طالب [١]

والثالث: أنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم فظهر المؤمنون ثم تعاهدوا أن لا يغدر بعضــهم ببعض فغدر كفارهم فأخذوهم فقال له رجل من المؤمنين أوقدوا نارا وأعرضــوا عليها فمن تابعكم على دينكم فذاك الذي تحبون ومن لم يتبعكم أقحم النار فاســـترحتم منه ففعلوا فجعل المسلمون يقتحمونها ذكره قتادة [٢]

والرابع: أن قوما من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة فأرسل اليهم جبار من عبدة الأوثان فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا فخدلهم أخدودا وألقاهم فيه قاله الربيع بن أنس [٣]

والخامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسـف بن ذي نواس بعدما رفع عيسـى فخد لهم أخدودا وأوقد فيه النار فأحرقهم كلهم فأنزل الله تعالى قتل أصـــحاب الأخدود وهم يوسف بن ذي نواس وأصحابه قاله مقاتل [٤] والسيوطي[٥]

وخلاصــة القول أن أصــحاب الأخدود قوم كافرون، ذوو بأس وقوة، أصــابوا قومًا مؤمنين غاظهم إيمانهم، فحملوهم على الكفر، وأكرهوهم أن يرتدوا إليه فأبوا، فشـقوا لهم شـقًا في الأرض وحشــوه بالنار، وجاءوا بالمؤمنين واحدًا واحدًا وألقوهم في النار... أما تعيين أصـــحاب الأخدود. وأين كانوا ومن هم أولئك المؤمنون وأين كان منزلهم من

---

(١) ينظر: الدر المنثور (٨/ ٤٦٧)

(٢) ينظر: المرجع السابق (٨/ ٤٦٥)

(٣) ينظر: زاد المسير (٩/ ٧٥)

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١٧/ ٤)

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٦/ ٢٠٩٥)

الأرض فقد كثرت فيه الروايات.. غير أن المؤمن لا يحتاج في الاعتبار، وإشعار الموعظة قلبه إلى أن يعرف القوم والجهة، والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: ٥]، منهم من جعل الوقود من ألقي فيها من المؤمنين. ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي عذبوا بها(١). ووضح الواحدي قوله تعالى: النار ذات الوقود فقال: يعني الذين أوقدوها لإحراق المؤمنين(٢)

وقيل الوقود: الحطب، أو ما توقد به النار وذكر هذا القول القشيري(٣) والقرطبي(٤)وغيرهما(٥) وقال الإمام سيد طنطاوي: والوقود: اسم لما توقد به النار كالحطب ونحوه. وذات الوقود: صفة للنار(٦).

وجاء في الوجيز للواحدي أن النار ذات الوقود أي: ذات الالتهاب(٧)

ورجح السمعاني أن النار ذات الوقود يعني ذات التوقد فقال: قَوْله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ على قَول الْبَدَل من الْأُخْدُود كَأَنَّهُ قَالَ: " ﴿ قتل أَصْحَاب الْأُخْدُود النَّار ذَات الْوُقُود ﴾ والوقود " مَا يُوقد بِهِ النَّار، وَقيل: ذَات الْوُقُود أَي: ذَات التوقد، وَهُوَ الْأَصَح(٨).

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٨٤)

(٢) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦١)

(٣) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري (٣/ ٧١٠)

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٧)

(٥) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/ ٦٢٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٤٦٩) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤/ ٣٣٠)

(٦) ينظر: الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٤٤٧٧)

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (ص: ١١٨٩)

(٨) ينظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٩٨)

ويؤيد هذا القول الزحيلي حيث قال: أي لعن أصحاب الأخدود المشتمل على النار ذات الحطب الذي توقد به[١].

ويتعلق: إذ هم عليها قعود بفعل قتل، أي لعنوا وغضب الله عليهم حين قعدوا على الأخدود.

وضمير هم عائد إلى أصحاب الأخدود فإن الملك يحضر تنفيذ أمره ومعه ملأه، أو أريد بهم المأمورون من الملك. فعلى احتمال أنهم أعوان الملك فالقعود الجلوس كني به عن الملازمة للأخدود لئلا يتهاون الذين يحشون النار بتسعيرها، و (على) للاستعلاء المجازي لأنهم لا يقعدون فوق النار ولكن حولها، [٢].

وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، أي عنده.

وعلى احتمال أن يكون المراد ب أصحاب الأخدود المؤمنين المعذبين فيه، فالقعود حقيقة و (على) للاستعلاء الحقيقي، أي قاعدون على النار بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود لأن ذلك أشد تعذيبا وتمثيلا، أي بعد أن يقعدوهم في الأخاديد يوقدون النار فيها وذلك أروع وأطول تعذيبا[٣].

وقعود: جمع قاعد؛ أي: لعنوا حين أحرقوا المؤمنين بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود، ولفظ ﴿ عَلَى ﴾ مشعر بذلك، تقول: مررت عليه، تريد مستعليًا بمكان يقرب منه، ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا، فالقاتلون كانوا جالسين في مكان مشرف أو نحوه، ويعرضون المؤمنين على النار، فمن كان يترك دينه تركوه، ومن كان يصر ألقوه في النار وأحرقوه، وكان – صلى الله عليه وسلم – إذا

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٥٨)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٢)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٣)

ذكر أصـــحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء، وهو الحالة التي يختار عليها الموت[١]

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾ جمع شـــاهد؛ أي: إن أولئك الجبابرة الذين أمروا بإحراق المؤمنين كانوا حضـــورًا عند تعذيبهم، يشـــاهدون ما يفعله بهم أتباعهم، فـــ ﴿ عَلَى ﴾ بمعنى: مع، والتقدير: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود؛ أي: حضور، وفي هذا إيماء إلى قسوة قلوبهم، وتمكن الكفر منهم إلى ما فيه من إشارة إلى قوة اصطبار المؤمنين، وشدة جلدهم، ورباط جأشهم، واستمساكهم بدينهم. أو المعنى: أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدًا منهم لم يقصر فيما أمر به، وفوض إليه من التعذيب بالإحراق من غير ترحم وإشفاق. أو المعنى: أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة، يعني: تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون[٢].

وجملة وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شـهود في موضـع الحال من ضـمير إذ هم عليها قعود كأنه قيل: قعود شـاهدين على فعلهم بالمؤمنين على الوجهين المتقدمين في معاد ضـــمير يفعلون، وفائدة هذه الحال تفظيع ذلك القعود وتعظيم جرمه إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين لا يرأفون في ذلك ولا يشمئزون، وبذلك فارق مضمون هذه الجملة مضـــمون جملة: إذ هم عليها قعود باعتبار تعلق قوله: بالمؤمنين شـــهود وفي الإتيان بالموصـــول في قوله: ما يفعلون بالمؤمنين من الإبهام ما يفيد أن لموقدي النار من الوزعة والعملة ومن يباشرون إلقاء المؤمنين فيها غلظة وقسوة في تعذيب المؤمنين وإهانتهم والتمثيل بهم، وذلك زائد على الإحراق[٣].

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٩٣)

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣١/ ٢٩٤)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٣)

وفي الإتيان بالموصـــول في قوله: ما يفعلون بالمؤمنين من الإبهام ما يفيد أن لموقدي النار من الوزعة والعملة ومن يباشـــرون إلقاء المؤمنين فيها غلظة وقســـوة في تعذيب المؤمنين وإهانتهم والتمثيل بهم(١)

والنقمة هنا بمعنى الإنكار والكراهية. يقال: نقم فلان هذا الشـــيء، – من باب ضرب– إذا كرهه وأنكره(٢).

وجملة ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ المقصـــود التعجيب من ظلم أهل الأخدود أنهم يأتون بمثل هذه الفظاعة لا لجرم من شـــأنه أن يُنقَم من فاعله فإن كان الذين خدوا الأخدود يهوداً كما كان غالب أهل اليمن يومئذ فالكلام من تأكيد الشـــيء بما يشبه ضده أي ما نقموا منهم شيئاً ينقم بل لأنهم آمنوا بالله وحده كما آمن به الذين عذبوهم(٣).

والإتيان هنا بصـــفتي الله تعالى العزيز الحميد، إشـــعار بأنه ســـبحانه قادر على نصـــرة المؤمنين والانتقام من الكافرين، إذ العزيز هو الغالب، وجاء وصـــفه بالحميد، ليشـــعر بأمرين: الأول: أن المؤمنين آمنوا رغبة ورهبة، رغبة في الحميد ورهبة من العزيز وهذا كمال الإيمان رغبة ورهبة وهو أحسن حالات المؤمن(٤)

وإجراء الصـــفات الثلاث على اســـم الجلالة وهي: ﴿ العزيز الحميد الذي له ملك الســـماوات والأرض ﴾ لزيادة تقرير أن ما نقموه منهم ليس من شـــأنه أن ينقم بل هو حقيق بأن يُمدحُوا به لأنهم آمنوا بربّ حقيق بأن يؤمن به لأجل صـــفاته التي تقتضـــي

(١) ينظر: المرجع السابق (٣٠/ ٢٤٣)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٤٥)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/ ١١٤)

(٤) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٨٦)

عبادته ونبذَ ما عداه لأنه ينصُر مواليه ويثيبهم ولأنه يَمْلِكهم، وما عداه ضعيف العزة لا يضر ولا ينفع ولا يَملك منهم شيئاً فيقوى التعجيب منهم بهذا.

وجملة: ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ تذييل بوعيد للذين اتخذوا الأخدود وبوعد الذين عُذبوا في جنب الله، ووعيد لأمثال أولئك من كفار قريش وغيرهم من كل من تصدَّوْا لأذى المؤمنين ووعد المسلمين الذين عذبهم المشركون مثل بلالٍ وعمار وصُهيب وسُمَيَّةَ [١].

فقوله تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ تأكيد وبيان العزيز الحميد، إذ لا يخرج عن سلطانه أحد، فهو القاهر فوق عباده، وهو المدبر أمر ملكه، سبحانه وتعالى[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، ربط بأول السورة بقوله: وشاهد ومشهود، فهو سبحانه على كل شيء شهيد، ومن ذلك فعل أولئك، وفيه شدة تخويف أولئك وتحذيرهم ومن على شاكلتهم، بأن الله تعالى شهيد على أفعالهم فلن تخفى عليه خافية.

وقد جاء بصيغة المبالغة في شهيد، لما يتناسب مع هذا المقام كما فيه المقابلة بالفعل، كما كانوا قعودًا على النار وشهودًا على إحراق أولياء الله تعالى، فإنه سبحانه سيعاملهم بالمثل، إذ يحرقهم وهو عليهم شهيد [٣].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/ ١١٥)

(٢) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٨٦)

(٣) ينظر: المرجع السابق . (٨/ ٤٨٧)

خامسًا: المعنى الإجمالي للآيات:

أن قومًا كافرين أحرقوا المؤمنين بالنار، حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم، ولكنهم عجزوا فحفروا أخدوداً حُفراً ممدودة في الأرض كالنهر وجمعوا الحطب الكثير وأحرقوا المؤمنين بها، وأن هؤلاء الذين حفروا الأخاديد وألقوا فيها المؤمنين كانوا عندهم قوة وجبروت يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود حولها متكئين، وهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين أي حضور لا يغيب عنهم ما فعلوه بالمؤمنين، ولذلك استحقوا هذا الوعيد، بل استحقوا هذه العقوبة أن الله أهلكهم ولعنهم وطردهم وأبعدهم عن رحمته.

وما أنكر هؤلاء الذين سَعَّرُوا النار بأجساد هؤلاء المؤمنين إلا هذا، أي: إلا أنهم آمنوا بالله عز وجل ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ وهذا الإنكار أحق أن ينكر؛ لأن المؤمن بالله العزيز الحميد يجب أن يساعد ويعان، وأن تسهل له الطرق، أما أن يمنع ويردع حتى يصل الحد إلى أن يحرق بالنار فلا شك أن هذا عدوان كبير، وليس هذا بمنكر عليهم، بل هم يحمدون على ذلك؛ لأنهم عبدوا من هو أهل للعبادة، وهو الله جل وعلا، الذي خلق الخلق ليقوموا بعبادته، فمن قام بهذه العبادة فقد عرف الحكمة من الخلق وأعطاها حقها. وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ العزيز هو الغالب الذي لا يغلبه شيء، فهو سبحانه وتعالى له الغلبة والعزة على كل أحد، فالله وحده له ملك السماوات والأرض، لا يملكها إلا هو عز وجل، فهو يملك السماوات ومن فيها، والأرضين ومن فيها، وما بينهما، وما فيها كل شيء ملك لله ولا يشاركه أحد في ملكه، ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ فهو مطلع عز وجل على كل شيء، ومن جملته ما يفعله هؤلاء الكفار بالمؤمنين من الإحراق بالنار، وسوف يجازيهم، ويعاقبهم على ذلك.

سادسًا: القراءات الموجودة في الآيات:

القراءة في قوله: (قُتِل) الجمهور على التخفيف، قرأ الحسن وابن مقسم «قتّل» بالتشديد وهو مبالغة في لعنهم لعظم ما أتوا به(١)

وقرأ الحسنُ البصريّ وأبو رَجاءٍ العطارديّ ويَزِيدُ النحويُّ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝﴾ بالضمَّ، والباقون بالفتح (٢)

قال الأخفش ﴿ٱلۡوَقُودِ ۝﴾ بفتح الواو: الحطب و"الوُقُودُ" بضم الواو: الفِعل وهو "الاتِّقاد"(٣).

سابعًا: ما ترشد إليه الآيات:

١-أن المؤمنين مبتلون وأن أجرهم عند الله عظيم جزاءً لصبرهم.

٢-على المسلمين أخذ العبرة والعظة مما حصل لإخوانهم.

٣-التوبة إلى الله تعالى، والخوف منه ورجاء ثوابه.

٤-أن الله عز وجل مطَّلع ومراقب لجميع أعمال عباده ويجازيهم عليها.

(١) ينظر: روح المعاني (١٥/ ٢٩٩)

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٤٨)

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش (ص: ٤٣٨) الموسوعة القرآنية خصائص السور (١١/ ١٧٨)

المبحث الثاني: وعيد الله عز وجل للطغاة المتكبرين وثوابه للمؤمنين الصابرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج: ١٠، ١١]

أولًا: مناسبة الآيتين لما قبلها:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر قصة أصحاب الأخدود وبيَّن ما فعلوه من الإيذاء والتنكيل بالمؤمنين، وذيل ذلك بما يدل على أنه لو شاء لمنع بعزته وجبروته أولئك الجبابرة عن هؤلاء المؤمنين، وأنه إنْ أمهل هؤلاء الفجرة عن العقاب في الدنيا.. فهو لم يهملهم، بل أجَّل عقابهم ليوم تشخص فيه الأبصار.. ذكر ما أعد للكفار من العذاب الأليم جزاء ما اجترحت أيديهم من السيئات التي منها إيذاء المؤمنين، وما أعد للمؤمنين من جميل الثواب، وعظيم الجزاء(١).

قال البقاعي في المناسبة: ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود، وأن الكافرين شهود على أنفسهم، زاد في التحذير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فهو لا يحتاج إلى غيره، ولكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه فقال: ﴿والله﴾ أي الملك الأعظم الي له الإحاطة الكاملة ﴿على كل شيء﴾ أي هذا الفعل وغيره ﴿شهيد﴾ أي أتم شهادة لا يغيب عنه شيء أصلاً، ولا يكون شيء ولا يبقى إلا بتدبيره، ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلاً، بل لا بد ان ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه، ولذلك قال مستأنفاً جواباً لمن يقول: فما فعل بهم؟ مؤكداً لإنكار الكفار ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ أي خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلا بد أن

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٨٥)

يميل أو يحيل في أي زمان كان ومن أي قوم كانوا ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ أي ذوي الرسوخ في وصف الإيمان(١).

ثانيًا: معاني المفردات:

أصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار. قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[الذاريات: ١٣]، ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾[الذاريات: ١٤]، أي: عذابكم، وذلك نحو قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[النساء: ٥٦]، وقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾[غافر: ٤٦] وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه. نحو قوله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾[التوبة: ٤٩]، وتارة في الاختبار نحو: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾[طه: ٤٠]، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا، وقد قال فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء: ٣٥] (٢).

وقال ابن قتيبة: والفتنة: التعذيب. قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠] أي عذّبوهم بالنار.

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون. ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ [الذاريات: ١٤] أي يقال لهم: ذوقوا فتنتكم، يراد هذا العذاب بذاك(٣)

---

(١) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٦٥)

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة (٢/ ١٧٥)

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٦٠)

والفتنة: الاختبار والامتحان كما جاء في مختار الصحاح[١]

ومادة توب من التوب وهو ترك الذنب على أجمل الوجوه[٢]

وذكر الجرجاني: التوب جمع توبة والتوبة في الشرع الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة [٣]

وورد في الصحاح أن التوبة: الرجوع من الذنب. وقال الأخفش: التَوْبُ جمع توبَةٍ. وتاب إلى الله توبةً ومتاباً. وقد تاب الله عليه: وَفَّقَهُ لها. واستتابَهُ: سأله أن يتوب[٤].

والحُرْقَةُ، بالضَّمّ: اسمٌ من الاحْتِراقِ كالحَرِيقِ كأَمِيرٍ، وقولُه تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ أَي: لَهُم عذابٌ بكُفْرِهِم، وعَذابٌ بإِحْراقِهم المؤْمِنينَ[٥].

وهذا يدل على أن الحَرَق –محركة: النارُ، ولهَبُها، كالحريق[٦]

الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة. قال تعالى: ﴿ ذلك هو الفوز الكبير ﴾ [البروج: ١١]، ﴿فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية: ٣٠][٧]

وجاء في الصحاح: الفَوْزُ: النجاة والظفر بالخير[٨].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح لمحمد الرازي (ص: ٥١٧)

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . (١/ ١٤٩)

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٩٥)

(٤) ينظر: الصحاح في اللغة (١/ ٦٦)

(٥) ينظر: تاج العروس (٢٥/ ١٥٤)

(٦) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٤١٣)

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . (٢/ ٢٠٨)

(٨) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ٨٩٠)

ثالثًا: إعراب الآيتين:

إن حرف مشبّه بالفعل والذين اسمها وجملة فتنوا صلة الذين لا محل لها والمؤمنين مفعول به والمؤمنات عطف على المؤمنين وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي،

ولم: حرف نفي وقلب وجزم ويتوبوا فعل مضـــارع مجزوم بلم والجملة عطف على فتنوا وإنما اسـتعمل ثم لأن التوبة مقبولة مهما يتراخ بها الزمن ويمتد، فلهم: الفاء رابطة لشرط مقدّر مفهوم من المبتدأ ولهم خبر مقدّم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر ولهم خبر مقدّم وعذاب الحريق مبتدأ مؤخر وجملة فلهم عذاب جهنم خبر إن الذين فتنو[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ كلام مسـتأنف مسـوق لذكر ما أعدّ للمؤمنين، وإن واسـمها، وجملة آمنوا صـلة الذين وجملة وعملوا الصـالحات عطف على الصـلة داخلة في حيّزها ولهم خبر مقدّم وجنات مبتدأ مؤخر والجملة الاســمية ففي محل رفع خبر إن الذين آمنوا وجملة تجري نعت لجنات، ومن تحتها متعلقان بتجري، والأنهار فاعل وذلك مبتدأ والفوز خبر والكبير نعت[2]

رابعًا: أوجه التفسير في الآيتين:

إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، كلام مسـتأنف لذكر ما أعده الله للمجرمين في الآخرة، وصدرت الجملة ب إن المؤكدة للخبر في نفس المخاطب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: ابتلوهم، وامتحنوهم، وعذبوهم بالنار، يقال: فتنت الشـيء: إذا حرقته بالنار، والعرب تقول: فتن فلان الدينار: إذا أدخله الكور لينظر جودته، وفي "المختار": الفتنة: الاختبار، والامتحان، تقول: فتن الذهب يفتنه بالكسـر فتنةً ومفتونًا أيضًـا: إذا أدخله النار لينظر جودته، ودينار مفتون، قال تعالى:

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٤٣٥)

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٠/ ٤٣٥)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: حرقوهم، ويسمى الصائغ: الفتان، وكذا الشيطان، وقال الخليل: الفتن: الإحراق، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ [الذاريات: ١٣]﴿عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ أي: العذاب المحرق، فهو من إضافة الموصوف، إلى الصفة، وهو عذاب جهنم ذكر تفسيرًا وبيانًا له، وفي "المفردات": الحريق: النار، وكذا الحرق بالتحريك: النار أو لهبها. كما في "القاموس". وحرق الشيء: إيقاع الحرارة فيه من غير لهب كحرق الثوب بالدق، والإحراق: إيقاع نار ذات لهب في شيء، ومنه استعير أحرقني بلومه: إذا بالغ في أذيته بلومه(١).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ يقول: ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ في الدنيا(٢).

وعَطفُ (المؤمنات) للتنويه بشأنهن لئلا يظنّ أن هذه المزية خاصة بالرجال، ولزيادة تفظيع فعل الفاتنين بأنهم اعتدَوا على النساء والشأن أن لا يتعرض لهن بالغلظة، وجملة: (ثم لم يتوبوا) معترضة. و(ثُمّ) فيها للتراخي الرتبي لأن الاستمرار على الكفر أعظم من فتنة المؤمنين.

وفيه تعريض للمشركين بأنهم إن تابوا وآمنوا سلِمُوا من عذاب جهنم.

والفَتْن: المعاملة بالشدة والإيقاع في العناء الذي لا يجد منه مخلصاً إلا بعناء أو ضرّ أخف أو حيلة، ودخول الفاء في خبر (إنّ) من قوله: فلهم عذاب جهنم (لأنّ اسم (إن) وقعَ مَوصولاً والموصول يضمَّن معنى الشرط في الاستعمال كثيراً: فتقدير: إن الذين فتنوا المؤمنين ثم إنْ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم، لأن عطف قوله: ثم لم يتوبوا، مقصود به معنى التقييد فهو كالشرط.

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٣٠٩)

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٣)

وجملة: ولهم عذاب الحريق، عطف في معنى التوكيد اللفظي لجملة: (لهم عذاب جهنم). واقترانُها بواو العطف للمبالغة في التأكيد بإيهام أن من يريد زيادة تهديدهم بوعيد آخر فلا يُوجد أعظم من الوعيد الأول. مع ما بين عذاب جهنم وعذاب الحريق من اختلاف في المدلول وإن كان مآل المدلولين واحداً. وهذا ضرب من المغايرة يحسن عطف التأكيد. (١).

وقال ابن عطية: قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾: وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق، أو لهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم(٢)

واستحقوا هذا العذاب لأنهم لم يتوبوا قال تعالى:: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أنهم لو تابوا إلى الله، وندموا على ما فعلوا، غفر الله لهم. ولكن لم ينقل أن أحدا منهم تاب، بل الظاهر أنهم لم يلعنوا إلا وهم قد ماتوا على الكفر(٣).

ومن قال إن هذه الآيات الأواخر في قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب، ويقوي هذا التأويل بعض التقوية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ لأن هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علم أنهم ماتوا على كفرهم، وأما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب بعد ذلك وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم(٤)

ويحتمل أن يكون مرادًا به أصحاب الأخدود، و(فتنوا) بمعنى أحرقوا، ويحتمل أن يكون عاماً في كل من أذى المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم عنه بأي أنواع الفتنة والتعذيب.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير . (٣٠/ ٢٤٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٧/ ٣٧٢)

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد الأندلسي (٨/ ٤٤٤)

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٢)

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٧/ ١٩)

وقد رجح الأخير أبو حيان وحمله على العموم أولى، ليشـــمل كفار قريش بالوعيد والتهديد، وتوجيههم إلى التوبة مما أوقعوه بضـــعفة المؤمنين، كعمار وبلال وصـــهيب وغيرهم.

ويرجح هـذا العموم، العموم الآخر الـذي يقـابلـه في قولـه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾، فهذا عام بلا خلاف في كل من اتصف بهذه الصفات(١).

ويظهر من أقوال المفســـرين ان الآية عامة تشـــتمل كل من يقوم بفتنة المؤمنين والمؤمنات ويردوهم عن دينهم، ويدخل فيهم دخولًا أوليا أصـــحاب الأخدود الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بالنار.

وبعـد أن بيَّن الله – عز وجـل – عقـاب هؤلاء الكفرة الـذين عـذبوا المؤمنين والمؤمنـات، جـاءت الآيـة بعـدهـا لتبين ثواب الله عز وجل للمؤمنين الموحـدين فـذكر الترهيب ثم الترغيب، وكأن ســائلًا يســأل يقول: إذا كان عقاب الكافرين النار فما ثواب المؤمنين، فجاءت هذه الآية تجيب عن هذا السؤال.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرِ ﴾ أي إن الذين آمنوا وصدقوا بالله ربّا واحدا لا شريك له، وبالرسل واليوم الآخر والملائكة والكتب الإلهية، وعملوا صـالح الأعمال باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومنهم الذين صـبروا على نـار الأخـدود، وثبتوا على دينهم ولم يرتـدوا، لهم بســـبب الجمع بين الإيمـان والعمـل الصـــالح جنات (بســاتين) تجري من تحت قصـــورها وأشـــجارها الأنهار، وذلك الثواب والنعيم المذكور هو الفوز أو الظفر الكبير الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه ولا يدانيه، جزاء إيمانهم وطاعة ربهم(٢).

---

(١) ينظر: أضواء البيان (٨/ ٤٨٧)

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٢)

وقال النحاس: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أي: أمروا بتوحيد الله سبحانه. ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ﴾ انتهوا إلى أمر الله ونهيه. ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ﴾ وهي أنهار الماء وأنهار الخمر واللبن والعسل ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ، أي: الظفر بما طلبوا(١).

فالآية خاصة في الذين أقروا بتوحيد الله وعملوا الأعمال الصالحات وهم الذين حرقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد(٢)

ويؤيد قول الواحدي في تفسيره لهذا الآية حيث قال: ثم ذكر ما أعد للمؤمنين الذين حرقوا بالنار، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾(٣)

ثم ذكر النسفي وغيره أن الآية تحتمل أنها عامة في المؤمنين أو أنهم هم الذين صبروا على تعذيب الأخدود(٤)

وجملة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها، يجوز أن يكون استئنافا بيانيا ناشئا عن قوله: ثم لم يتوبوا المقتضي أنهم إن تابوا لم يكن لهم عذاب جهنم فيتشوف السامع إلى معرفة حالهم أمقصورة على السلامة من عذاب جهنم أو هي فوق ذلك، فأخبر بأن لهم جنات فإن التوبة الإيمان، فلذلك جيء بصلة آمنوا دون: تابوا: ليدل على أن الإيمان والعمل الصالح هو التوبة من الشرك الباعث على فتن المؤمنين، وهذا الاستئناف وقع معترضا.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢٠)

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٨٥)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦١)

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٢٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٩/ ١٣٤) تفسير مدارك الترتيل وحقائق التأويل (٤/ ٢١)

ويجوز أن يكون اعتراضا بين جملة إن الذين فتنوا المؤمنين وجملة: إن بطش ربك لشديد اعتراضا بالبشارة في خلال الإنذار لترغيب المنذرين في الإيمان، ولتثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من أذى المشركين على عادة القرآن في إرداف الإرهاب بالترغيب. والتأكيد ب إن للاهتمام بالخبر.

والإشارة في ذلك إلى المذكور من اختصاصهم بالجنات والأنهار(١).

ذلك هو الفوز الكبير: أي الفوز الكبير الذي يصغر عنده الفوز بالدنيا وما فيها من الْمُتَع والرغائب، وكيف لا وقد ظفروا بكل خير ونجوا وسلموا من كل شر(٢) ووضَّح الزحيلي الفوز الكبير بقوله: وذلك الثواب والنعيم المذكور هو الفوز أو الظفر الكبير الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه ولا يدانيه، جزاء إيمانهم وطاعة ربهم(٣).

وإنما قال: ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي أن قوله: ذلك إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات، وقوله: تلك إشارة إلى الجنات وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة(٤).

خامسًا: المعنى الإجمالي للآيتين:

إن الذين أحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار، ولم يتركوهم أحرارا في دينهم، وأجبروهم إما على الإحراق أو الرجوع عن دينهم، ثم لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله ويتركوا كفرهم، فلهم في الآخرة بسبب كفرهم عذاب جهنم، ولهم عذاب الاحتراق بالنار لأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٧)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط (١٠/ ١٨٥٩)

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٣)

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ١١٣)

ورغّب الله تعالى وأرشـــد إلى ما أعدّ للمؤمنين من الثواب العظيم وهم الذين آمنوا وصـدقوا بالله ربّا واحدا لا شـريك له، وبالرسـل واليوم الآخر والملائكة والكتب الإلهية، وعملوا صـــالح الأعمال باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومنهم الذين صـــبروا على نار الأخدود، وثبتوا على دينهم ولم يرتدوا، لهم بسـبب الجمع بين الإيمان والعمل الصـالح بسـاتين تجري من تحت قصـورها وأشـجارها الأنهار، وذلك الثواب والنعيم وهو الفوز أو الظفر الكبير الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه ولا يدانيه، جزاء إيمانهم وطاعة ربهم.

سادسًا: ما ترشد إليه الآيات:

١-أن التوبة تسقط أثر الذنب وترفع العقوبة، والله يرغب دائما بها.

٢-رضا الله عن المؤمنين والمؤمنات يكون بدخولهم الجنة وهذا هو الفوز الكبير.

٣-على المؤمن أن يصبر على البلاء لما في ذلك من فوز عظيم.

٤-الوعيد الشديد لمن يقوم بتعذيب المؤمنين ويصدهم عن عبادة الله وحده.

٥-البشرى لمن آمن بالله وعمل صالحا بدخول الجنة وذلك بفضل الله ورحمته.

الفصل الثالث: وعيد الله وتأكيده وذكر بعض صفات الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج: ١٢-١٦]

أولًا: مناسبة الآيات:

بعد أن بيّن الله عز وجل ما أعده للكفار من عذاب الحريق، ثم بين- سبحانه- بعد ذلك ما أعده للمؤمنين والمؤمنات من ثواب وعطاه كريم، ساق الله عز وجل التفسير بعد ذلك، ما يدل على نفاذ قدرته ومشيئته، حتى يزداد المؤمنون ثباتا على ثباتهم، وصبرا على صبرهم فقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

قال الهرري في مناسبة الآيات: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووصف ما أعد لهم من الثواب كفاء أعمالهم.. أردف ذلك كله بما يدل على تمام قدرته على ذلك؛ ليكون ذلك بمثابة توكيد لما سبق من الوعيد والوعد، فالملك لا يعظم سلطانه وهيبته في النفوس إلا بأمرين:

١ - الجود الشامل، والإنعام الكامل، وبذا يرجى خيره.

٢ - الجيوش الجرارة، والأساطيل العظيمة التي توقع بأعدائه، وتنكل بهم، وبذلك يهاب جنابه، وإليهما أشار بقوله فيما سلف: ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وهنا زاد الأمر إيضاحًا، بقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (١)

ولمَّا كانت الآية إرهابًا لقريش ومن معها، وان الله عز وجل ينتقم من الجبابرة والظلمة، زاد سبحانه أمر قدرته توكيدًا فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٨٥)

ثم ذكر سبحانه خمسة أوصاف من صفات الرحمة والجلال فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾؛ ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ ﴿ الْمَجِيدُ ﴾ ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

ومما يدل على علاقة بداية السورة بآخرها يقول الزحيلي: وافتتحت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات منازل الكواكب، وبيوم القيامة، وبالأنبياء الذين يشهدون على أممهم، على إهلاك وتدمير وإبادة المجرمين، الذين أحرقوا جماعة من المؤمنين والمؤمنات في النار ليفتنوهم عن دينهم، وأعقبت ذلك بوعيد هؤلاء العتاة الطغاة، وإنذارهم بعذاب جهنم، وبوعد المؤمنين بالجنان. ختمت السورة بإظهار عظمة الله وجليل صفاته وقدرته على الانتقام من أعدائه(١)

قال الزحيلي: بعد بيان وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجزاء كل فريق، أكّد الله تعالى الوعد والوعيد بما يدل على تمام قدرته على ذلك. ثم بيّن أن حال الكفار في كل عصر، مع الأنبياء، شبيه بحال أصحاب الأخدود، في إلحاق أذى الكفار بالمؤمنين، فهم دائما في صراع معهم وعداوة وإيذاء. والقصد من هذا كله ترهيب الكفار، وتثبيت المؤمنين على إيمانهم، وشدّ عزائمهم بالصبر، وتطمينهم بأن كفار قريش سيلقون مثلما أصاب الأقوام السابقة: فرعون وأتباعه وثمود(٢).

ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه إلا من كان في غاية العظمة، قال معللاً لفعله ذلك دالاً بذلك التعلل على ما له من العظمة التي تتقاصر الأفكار دون عليائها، مؤكداً لما للأعداء من الإنكار: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾

ولما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة، دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله مؤكداً لما لهم من الإنكار: ﴿ إنه ﴾ وزاد التأكيد بمبتدأ آخر ليدل على

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٥٢)

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣٠/ ١٦٦)

الاختصـــاص فقال: ﴿ هو ﴾ أي وحده ﴿ يبدئ ﴾ أي يوجد ابتداء أي خلق أراد على أي هيئة أراد ﴿وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي ذلك المخلوق بعد إفنائه في أي وقت أراده ولما ذكر سبحانه بطشه، وكان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف، وإن قدر فربما لم يقدر على الإبلاغ في ذلك، وكان لا يقدر على محو الذنوب أعيانها وآثارها على كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من أحد أصلاً إلا من كان قادراً على كل شـــيء، قال مبيناً لجميع ذلك دليلاً على أنه الفاعل المختار، ومؤكداً لخروجه عن العوائد: ﴿ وهو ﴾ أي وحده ﴿ الغفور ﴾ أي المَحَّاءُ لأعيان الذنوب وآثارها إذا أراد بحيث لا يحصل لمن محا ذنبه كدر من جهة ذلك الذنب أصلاً ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ أي الذي يفعل بمن أراد فعل المحب الكثير المحبة فيجيبه إلى ما شاء ويلقي على صاحب الذنب الذي محاه عنه وداً أي محبة كبيرة واسعة يجعل له في قلوب الخلق رحمة، وزاد الأمر تأكيداً بذكر ما لا ينازع أصلاً في اختصاصه به تشريفاً له وتنبيهاً على أنه أعظم المخلوقات: ﴿ ذو العرش ﴾ أي العز الأعظم أو السرير الدال على اختصاصه الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة، الذي به قوام الأمور ﴿ المجيد ﴾ أي الشريف الكريم العظيم في ذاته وصفاته الحسن الجميل الرفيع العالي الكثير العطاء

ولما كان الاختصاص يدل قطعاً على كمال القدرة، أنتج ذكر هذه الاختصاصات قوله: ﴿ فعّال ﴾ أي على سبيل التكرار والمبالغة ﴿ لما يريد ﴾ لا يؤده شـــيء من الأفعال سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة أو نسبت في الظاهر إلى غيره[1].

ثانيًا: معاني المفردات:

البطش: الأخذ. وذكر بعض المفسرين أنه في القرآن على وجهين: –

أحدهما: القوة. ومنه قوله تعالى في الزخرف: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨]، وفي سورة ق: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦].

(١) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٦٨)

والثاني: العقاب. ومنه قوله تعالى في الدخان: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] (، وفي القمر: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾[القمر: ٣٦]، وفي البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[البروج: ١٢] (١)

وفي العين أن البطشُ: التّناول عند الصَّولة. والأخذ الشديد في كل شيء: بطش به. والله ذو البطشِ الشديد، أي: ذو البأس والأخذ لأعدائه(٢).

يبدئ ويعيد: من صفات الله سبحانه وتعالى المبدئ المعيد: بدأ الله الخلق أحياء ثم يميتهم ثم يحييهم كما كانوا. قال الله جل وعز: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[البروج: ١٣] بدأ وأبدأ بمعنى واحد(٣).

يقال: (بدأ) الباء والدال والهمزة من افتتاح الشيء، يقال بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء. والله تعالى المبْدِئُ والبادئُ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ [البروج١٣](٤)

(يعيد): أي: الَّذِي يُعِيدُ الْخَلْقَ بَعْدَ الْحَيَاةِ إِلى المماتِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ المماتِ إِلى الحياةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٥)

الوَدود: اسم من أسماء الله الحُسْنَى، ومعناه: الوادّ لأهل طاعته، المُحِبّ لعبيده بإيصال الخيرات إليهم، المودود لكثرة إحسانه، المُستحِقّ لأن يُودَّ ويُعبد ويُحمد "إِنَّهُ هُوَ

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ١٨٨)

(٢) ينظر: العين للخليل بن أحمد (٢/ ٢)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٣٥١،)

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢١٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٥)

(٥) ينظر: لسان العرب (٣/ ٣١٥)

يُبْدِئُ وَيُعِيدُ. وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ"[١]

و الودّ: محبّة الشيء، وتمنّي كونه، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ، وفي المودّة التي تقتضي المحبّة المجرّدة في قوله: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[الشورى: ٢٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾[٢]

فالودود يتضمن ما دخل في قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤][٣]

العرش: العرش في الأصل: شيء مسقف، وجمعه عروش، وكني به عن العز والسلطان والمملكة، والعرش لم يزل منذ أوجد مستعليا على الماء، وقوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾[البروج: ١٥]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾[غافر: ١٥]، وما يجري مجراه قيل: هو إشارة إلى مملكته وسلطانه لا إلى مقر له يتعالى عن ذلك [٤].

المجد السعة في الكرم والجلال، يقال مجد يمجد مجدا ومجادة، وأصل المجد من قولهم مجدت الإبل إذا حصلت في مرعى كثير واسع، وقولهم في صفة الله تعالى المجيد أي يجري السعة في بذل الفضل المختص به وقوله في صفة القرآن: (ق والقرآن المجيد) فوصفه بذلك لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية، وعلى هذا

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ص: ٢٨١٣)
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٠)
(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٤/ ٣٣)
(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . (٢/ ٨٢)

وصـــفه. بالكريم بقوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ وعلى نحوه ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ وقوله ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ فوصفه بذلك لسعة فيضه وكثرة جوده[١]

والمَجِيد: من صفات الله جل وعز، قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [٢].

(الْمَجِيدُ) مَجْدُ اللهِ: عَظَمَتُهُ وَسِـــعَةُ فَيْضِـــهِ وَكَرَمِهِ، وَمَجْدُ العَرْشِ: عُلُوّه وعَظَمَتُهُ وجَلالَةُ قَدْرِهِ[٣].

(لام) التقوية، نحو: ((فعّال لما يريد))، وأصلها (فعّال ما يريد)[٤].

ثالثًا: إعراب الآيات:

إن: حرف توكيد ونصب

بطش: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة

ربك مضـــاف إليه مجرور والكاف في محل جر مضـــاف إليه، واللام لام التوكيد المزحلقة، شـديد: خبر غن مرفوع بالضـمة، والجملة مسـتأنفة مسـوقة لتسـلية النبي عمّا يكابده من كفّار قومه وإن أمرهم مغلول، ومكرهم سيزول.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ إن واســمها وهو مبتدأ وجملة يبدىء خبر هو والجملة خبر إن ويجوز أن يكون هو ضــمير فصــل وجملة يبدىء خبر إنه ويعيد عطف على يبدىء أي من كان قادرا على الإبداء والإيجاد قادر بحكم الطبع والبداهة على الإعادة[٥]

وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ﴾: [الواو] حرف عطف [هو] ضــمير منفصــل في محل رفع مبتدأ [الغفور] خبر أول مرفوع [الودود] خبر ثان [ذو]

---

(١) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٤٦٣)

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٧٦،)

(٣) ينظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول (٦/ ٢٤٨)

(٤) ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة (ص: ٤٤)

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٤٣٥)

خبر ثالث مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة [ذو] مضاف و[العرش] مضاف إليه مجرور [المجيد] خبر رابع مرفوع، ويجوز أن يعرب [المجيد] نعتا للعرش تبعه في جره [فعال] خبر خامس مرفوع وهو من أمثلة المبالغة يعمل عمل فعله يرفع الفاعل وينصب المفعول، وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو [لما] جار ومجرور [اللام] حرف جر، و[ما] اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلق بفعال [يريد] فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو، وجملة الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب والعائد محذوف تقديره يريده، ويجوز أن يعرب [الودود] خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، ومثله بقية الأخبار(١).

رابعًا: أوجه التفسير في الآيات:

إن بطش ربك لشديد: هذه الجملة تجوز أن تكون جوابًا للقسم لوله تعالى: والسماء ذات البروج، والكلام الذي بينهما اعتراض قصد به التوطئة للمقسم عليه وتوكيد التحقيق الذي أفاده القسم بتحقيق ذكر النظير)(٢).

ومعنى البطش: الأخذ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة، والجبابرة لشديد (٧)، كقوله: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢](٣)

والبطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام(٤)

---

(١) ينظر: المذكرات النحويه شرح الألفيه (ص: ٢٠٢)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير . (٣٠/ ٢٤٠)

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٢٣/ ٣٩٢)

(٤) ينظر: تفسير الكشاف (٤/ ٧٣٢)

وفي هذه الجملة دلالة على شـدة أخذ الله عز وجل الظالمين وانتقامه منهم وعقابه لهم، فلفظة البطش: تعني: الفتك والأخذ والعنف والسـطوة والمعاقبة بالقوة والغلظة والغلبة.

وفي وصف البطش بالشدة زيادة مبالغة[١]، والتأكيد ب إن للاهتمام بالخبر.

وفي توجيه الخطاب للنبي – صـلى الله عليه وسـلم – إيذان بأن كفار قومه لهم نصيب من هذا البطش الشديد.

وهذا تأكيد للوعد والوعيد في الآيات السـابقة بما يفيد معرفة تمام قدرة الله تعالى على إنقاذ وعيده، وتنفيذ وعده، فإن بطش ربك، أي أخذه بقوة وسـرعة، لشـديد على المعذبين، عظيم قوي التأثير والنفاذ، مضاعف لمن أراد الله مضاعفة العذاب عليه، فإنه سـبحانه ذو القدرة الفائقة، الذي ما شـاء كان، ويكون لمح البصـر أو هو أقرب، وهذا ينشر جو الرهبة أمام كفار قريش وأمثالهم[٢]

ويؤكد تمام القدرة: أن الله تعالى هو الذي بدأ الخلق أول مرة في الدنيا، وهو القادر على أن يعيدهم أحياء بعد الموت، قوله تعالى: ﴿إنه هو يبدئ﴾: وردت هذه الجملة مؤكدة بإن وضمير الفصل (هو) لتأكيد مضمون الخبر وترسيخه في نفس المخاطب، وتقويته وتحقيقه، وفي معناه قولان أنه يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة، ويحتمل أنه يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة، هذا أشـبه بالمعنى لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم[٣]

---

(١) ينظر: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص: ٣٦٦)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢٨٥٤)

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢١) تفسير ابن فورك (٣/ ١٩١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١٧٥)

وعند جمهور المفسرين أن قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ أي: الخلق يخلقهم أولاً في الدنيا، ويعيدهم أحياء بعد الموت(١).

وفى هذه الآية دليل على القدرة الفعّالة الدائمة، القائمة على تدبير هذا الوجود، وتبدّل صوره حالا بعد حال(٢)

ويبدئ: مرادف يبدأ، يقال: بدأ وأبدأ. فليست همزة أبدأ للتعدية.

وحذف مفعولا الفعلين لقصد عموم تعلق الفعلين بكل ما يقع ابتداء، ويعاد بعد ذلك فشمل بدأ الخلق وإعادته وهو البعث، وشمل البطش الأول في الدنيا والبطش في الآخرة، وشمل إيجاد الأجيال وإخلافها بعد هلاك أوائلها. وفي هذه الاعتبارات من التهديد للمشركين محامل كثيرة.

وضمير الفصل في قوله: هو يبدئ للتقوي، أي لتحقيق الخبر ولا موقع للقصر هنا. إذ ليس في المقام رد على من يدعي أن غير الله يبدىء ويعيد(٣).

والفعلان يبدئ ويعيد جاءا بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار فالفعلان متجددان من الله تعالى، ومستمران شيئًا فشيئًا.

وفي الجمع بين الإبداء والإعادة طباق بديع، حيث اثبت الخلق بالإيجاد والإنشاء في الدنيا، ويعيده بالبعث والحشر أو يبديء كل ما يبدا ويعيد كل ما يعاد كما قال ابن عباس من غير دخل لأحد في شيء منهما ومن كان كذلك كان بطشه في غاية الشدة

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (٢٣/ ٣٩٢). وعزاه إلى الجمهور من المفسرين: ابن الجوزي في: "زاد المسير" ٨/ ٢٢١، والقرطبي في: "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢٩٤، وقال به الضحاك، وابن زيد، وابن جريج، ويحيى بن سلام، انظر: "جامع البيان" ٣٠/ ١٣٨، "النكت والعيون" ٦/ ٢٤٣، "الدر المنثور" ٨/ ٤٧١

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٥١٧)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٨)

و يبديء البطش بالكفرة في الدنيا ثم يعيده في الآخرة وعلى الوجهين الجملة في موضع التعليل لما سبق [١].

وحذف- سبحانه- المفعول في الفعلين، لقصد العموم، ليشمل كل ما من شأنه أن يبدأ وأن يعاد من الخلق أو من العذاب أو من غيرهما[٢].

ثم أكّد الله تعالى الوعد بإيراد صفات حيث ذكر سبحانه أوصافًا من صفات الرحمة والجلال فقال:

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾؛ أي: كثير المغفرة لمن تاب عن الكفر وآمن، وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصي، ولمن لم يتب أيضًا إن شاء فتجاوز عن سيئاته.

﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: المحب لمن أطاع أو تاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فالودود: فعول بمعنى الفاعل هاهنا، وهو الذي يقتضيه المقام، فهو المحب إلى عباده بإسباغ النعم عليهم ودوام العافية، فيكون بمعنى المفعول؛ لأنه يحبه عباده الصالحون، ومحبة العبد لله طاعته له، وموافقته لأمره، أو تعظيمه له، وهيبته في قلبه، وخاصية الاسم الودود. حصول محبة الله ومحبة طاعته لذاكره[٣].

فالله سبحانه بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين إذا تابوا وأنابوا إليه، يغفر ذنب من تاب إليه، وخضع لديه، مهما كان الذنب كبيرا أو صغيرا، وهو تعالى بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه، بليغ الوداد، والمراد به: إيصال الثواب لأهل طاعته على الوجه الأتم[٤]

(١) ينظر:، روح المعاني للألوسي (٣٠/ ٩١)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٤٧)

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٣٠١)

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٧)

والْغَفُورُ الْوَدُودُ صفتا فعل، الأولى ستر على عباده، والثاني لطف بهم وإحسان إليهم(١).

ويجوز أن يكون ودود فعولًا بمعنى: مفعول، كركوب، وحلوب، ومعناه: أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه، لما عرفوا من فضله، ولما أسبغ عليهم من نعمائه، ويجوز أن تكون فعولًا بمعنى فاعل، أي: محبًا لهم.

وكلتا الصفتين مدح، لأنه جل ذكره إن أحب عبادة المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه عباده العارفون، فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه(٢).

وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان(٣)

ولما ذَكَر الله من صفاته ما يتعلق بمخلوقاته بحسب ما يستأهلونه من جزاءٍ أعْقب ذلك بصفاته الذاتية على وجه الاستطراد والتكملة بقوله: ذو العرش المجيد تنبيهاً للعباد إلى وجوب عبادته لاستحقاقه العبادة لجلاله كما يعبدونه لاتقاء عقابه ورجاء نواله.

و (العرش): اسم لعالَم يحيط بجميع السماوات، وسمي عرشاً لأنه دال على عظمة الله تعالى كما يدل العَرش على أن صاحبه من الملوك(٤).

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢٨٥٥)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٦٢)

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (٢/ ٩٤)

(٤) ينظر: التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (٣٠/ ٢٤٩)

وذكر ابن كثير أن قوله: ﴿ ذُوالْعَرْشِ ﴾ أي صـــاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صـفة للرب عز وجل، والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح(١)

وإنما أُضـيف العرش إلى الله تعالى وخصَّـه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات، والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر(٢)

ثم ذَيل ذلك بصـفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمه بقوله: (فعال لما يريد) أي إذا تعلقت إرادته بفعل، فَعَله على أكمل ما تعلقت به إرادته لا ينقصـه شـيءٌ ولا يُبطىء به ما أراد تعجيله. فصـــيغة المبالغة في قوله: (فعال (للدلالة على الكثرة في الكمية والكيفية.

والإرادة هنا هي المعرَّفة عندنا بأنها صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه وهي غير الإرادة بمعنى المحبة مثل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] (٣)

واقترن الفعل هنا بالإرادة لأن فعله سبحانه وإرادته متلازمان فما أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق فإنه يريد مالا يفعل وقد يفعل مالا يريد فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده وإثبات إرادة متعددة بحسـب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصـه وهذا هو المعقول في الفطر وهو الذي يعقله الناس من الإرادة فشـــأنه تعالى أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد (٤)

وقوله: فعال لما يريد، دليل على أمور: أحدها: أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٢)

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٧٠)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير الطبعة التونسية (٢٨/ ٦٥)

(٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (٢/ ٩٨)

(الثاني) أنه لم يزل كذلك لأنه لم يزل كذلك لأنه ســـاق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه فلا يجوز أن يكون عادما لهذا الكمال في وقت من الأوقات وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل: ١٧] وما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثا بعد أن لم يكن.

(الثالث) أنه إذا أراد شـــيئا فعله فإن ما موصـــولة عامة أي يفعل كل ما يريد أن يفعله وهذا في إرادته المتعلقة بفعله وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شـــأن آخر فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفســـه أن يعينه ويجعله فاعلا لم يوجد الفعل فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه ويجعله فاعلا لم يوجد الفعل وإن أراده حتى يريده من نفسه أن يجعله فاعلا وهذه هي النكتة التي خفيت على القدرية والجبرية وخبطوا في مســـألة القدر لغفلتهم عنها فإن هنا إرادتين: إرادة أن يفعل العبد وإرادة أن يجعله الرب فاعلا وليستا متلازمتين وإن لزم من الثانية الأولى من غير عكس فمتى أراد من نفسه أن يعين عبده وأن يخلق له أسباب الفعل فقد أراد فعله وقد يريد فعله ولا يريد من نفسه أن يخلق له أسباب الفعل فلا يوجد الفعل.

(الرابع) أن فعله ســـبحانه وإرادته متلازمان فما أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريد فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده

(الخامس) إثبات إرادة متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه وهذا هو المعقول في الفطر وهو الذي يفعله الناس من الإرادة فشـــأنه تعالى أن يريد على الدوام ويفعل ما يريد[١]

وجاء هذا الوصف فَعَّالٌ بصيغة المبالغة، لأن ما يريده الله ويفعله في غاية الكثرة، والمعنى: أن كل ما تعلقت به إرادته فعله لا معترض عليه[٢]

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ٥٧)

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ٤٤٥)

فما يريده الله ويفعله هو في غاية النفاذ والسرعة، كما قال- تعالى-: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[يس: ٨٢]، فهذه الصفة من الصفات الجامعة لعظمته الذاتية، وعظمة نعمه ومننه وعطاياه.

وجاءت الصفات الخمس (الغفور، الودود، ذو العرش، المجيد، فعال لما يريد) بدون عطف، لأن العطف يقتضي المغايرة، ولذلك جاءت هذه الصفات مجتمعة وكأنها صفة واحدة، لأن الله عز وجل جامع هذه الصفات جميعها.

خامسًا: المعنى الإجمالي للآيات:

إن انتقام الله عز وجل من الجبابرة والظلمة، وأخذه إياهم بالعقوبة، لهو الغاية في الشدة، والنهاية في الأذى والألم، ثم يميتهم ويعيدهم أحياءً بعد الموت للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لأحد في شيء منهما، ومن كان قادرًا على الإيجاد والإعادة إذا بطش كان بطشه في غاية الشدة، وهو -سبحانه- الغفور لذنوب من يشاءُ من عباده المؤمنين، وهو الْوَدُود لمن أَطاعه وأَحبه، وتاب عن ما نهى الله عنه، فهو بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين إذا تابوا وأنابوا إليه، يغفر ذنب من تاب إليه، وخضع لديه، مهما كان الذنب كبيرا أو صغيرا، وهو تعالى بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه، بليغ الوداد، وهو سبحانه خالق العرش ومالكه، وهو ربّ العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، وصاحب الملك والسلطان، والعظيم الجليل المتعالي، صاحب النهاية في الكرم والفضل، وبالغ السمو والعلو. وهو الْمَجِيدُ أي: الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه، لا يعجز عن شيء أراده، ولا يمنع منه شيء طلبه، صاحب القدرة المطلقة على فعل ما يريد(١)

سادسًا: القراءات:

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَخلف: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ بخفض الدَّال، وَالْبَاقُونَ(٢)

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٩٩) بتصرف

(٢) ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَعَاصِم، وأبو جعفر، ويعقوب، ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦٧٨)

برفعها[١]

وذكر الأزهري أن من قرأ بالخفض، جعله نعتًا للعرش. و (الْمَجِيدِ) الكريم الشريف. ومن قرأ بالرفع جعله نعتا للَّهِ ذي العرش[٢].

والقراءة بالرفع أفادتنا اسما من أسمائه سبحانه وتعالى، وهو المجيد، وهذا الاسم ورد صريحا في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود:: ٧٣].

وأفادت القراءة بالخفض أن العرش أيضا يقال له: عرش مجيد، وذلك كله من الغيبيات التي لا سبيل للمرء إلى معرفتها باجتهاد، إنما تعرف بالتواتر النّقلي[٣].

سابعًا: ما ترشد إليه الآيات:

١- إن عقاب الله وانتقامه، وأخذه الجبابرة والظلمة لشديد قوي

٢- لله تعالى صفات عليا لا تتحقق في غيره، فهو الغفور الستور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، الودود المحب لأوليائه

٣- طلاقة القدرة لله تعالى، فلا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء.

٤- الإيمان بالغيبيات، وبيان عظمة الله تعالى.

٥- في الآيات صفات تصور الهيمنة المطلقة، والقدرة المطلقة. والإرادة المطلقة.

---

(١) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: ٦٠٩)

(٢) ينظر: معاني القراءات للأزهري (٣/ ١٣٦) حجة القراءات (ص: ٧٥٧) التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٢١) المبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٦٦)

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٢٤)

الفصل الرابع: تسلية النبي صلّى اللّه عليه وسلّم والصبر على تكذيب قومه

قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: ١٧ - ٢٢]

أولًا: مناسبة الآيات:

بعد عرض قصة أصحاب الأخدود ; تسلية للمؤمنين وتثبيتا لهم، وزجرا للمشركين وردعا لهم، جاء بأخبار لبعض من سبق من الأمم وفرعون وثمود، بدل من الجنود، وهم جمع جند، وهم الكثرة وأصحاب القوة، وحديثه ما قص الله من خبره مع موسى وبني إسرائيل(١).

يقول البقاعي _ رحمه الله_: ولما كان من تكذيبهم، وهو أعظم تكذيبهم، طعنهم في أعظم آيات القرآن بأن يقولوا: هو كذب مختلق، إنما هو أساطير الأولين، أي أكذوبتهم لا حقائق لا يخبر به مع أنه قد أقام الدليل الأعظم لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز على أنه حق، قال معبراً بالضمير إيذاناً بأنه لعظمه في كل قلب لا غيبة له أصلاً، ليس لأحد حديث إلا فيه، بانياً على ما تقديره: ليس الأمر كما يزعم الكفار في القرآن: بل هو قرآن مجيد، ثم قال: ولما وصفه في نفسه مما يأبي له لحاق شيء من شبهة، وصف محله في الملأ الأعلى إعلاماً بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال: في لوح محفوظ (٢)

وقال الزحيلي: بعد بيان وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجزاء كل فريق، أكّد الله تعالى الوعد والوعيد بما يدل على تمام قدرته على ذلك. ثم بيّن أن حال الكفار في كل عصر، مع الأنبياء، شبيه بحال أصحاب الأخدود، في إلحاق أذى الكفار بالمؤمنين، فهم دائما في صراع معهم وعداوة

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٤٨٨)

(٢) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٧٢)

وإيذاء. والقصـــد من هذا كله ترهيب الكفار، وتثبيت المؤمنين على إيمانهم، وشـــدّ عزائمهم بالصـبر، وتطمينهم بأن كفار قريش سـيلقون مثلما أصـاب الأقوام السـابقة: فرعون وأتباعه وثمود(١).

ثانيًا: معاني المفردات:

مادة ج ن د عني: التَّجَمُّعُ والنُّصْرَةُ، قال ابنُ فارِس: "الجِيمُ والنُّونُ والدّالُ يَدُلُّ على التَّجَمُّع والنُّصْـــرَةِ ". ،جَنَّدَ الجُنودَ: جَمَعَها. يقال: جُنْدٌ مُجَنَّدٌ(٢). والجُنْدُ: الأعوان والأنصار(٣)

فرعون: فَرْعَنَ: تَفَرْعَنَ فلان إذا تجبر وطغى وتخلَّق بـأخلاق الفراعنـة (مولـد) وفرعون: ملك مصـــر في التاريخ القديم، وقصـــته معروفة عند العوام. وهم فراعنة أي طغاة ظلمة(٤).

ثمود: ثمود قيل: هو أعجمي، وقيل: هو عربي، وترك صـرفه لكونه اسـم قبيلة، أو أرض، ومن صرفه جعله اسم حي أو أب، لأنه يذكر فعول من الثمد، وهو الماء القليل الذي لا مادة له، ومنه قيل: فلان مثمود، ثمدته النســـاء أي: قطعن مادة مائة لكثرة غشيانه لهن، ومثمود: إذا كثر عليه السؤال حتى فقد مادة ماله(٥).

وفي العين: الثَّمدُ: الماء القليل يبقى في الأرض الجَلد.

ويقال: الثَّمْدُ الماءُ القليل يظهَرُ في الشتاء ويذهَب في الصَّيف(٦)

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٦)

(٢) ينظر: بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٣٥/ ١١)

(٣) ينظر: مختار الصحاح لمحمد الرازي (ص: ١١٩)

(٤) ينظر: العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٠/ ٧)

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة (١/ ١٥٧)

(٦) ينظر: العين للخليل بن أحمد (٢/ ١١٤)

و ثمود هم قوم نبي الله صـــالح أعرضـــوا عن دعوته وقد غرتهم الدنيا وفتنتهم بملذاتها ومادياتها[١]

محيط: قال ابن منظور: وأَحاطَ بالأَمر إِذا أَحْدَقَ به من جَوانِبِه كلِّه وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ أَي لا يُعْجِزُه أَحَدٌ قدرته مشتملة عليهم[٢]

قرآن: الجمع وضـــم الحروف والكلمات بعضـــها إلى بعض، والقرء من: قرأ، أي: جمع [٣]

والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[٤]

مجيد: المجد: الشـرف الواسـع في كلام العرب، ورجُلٌ مَاجِد: مِفْضـال كَثِيرُ الْخَيْرِ شَـرِيفٌ. والمجيد فعيل منه للمبالغة كقوله: بل هو قرآن مجيد[٥] وأَصْـل المَجْدِ في اللّغَة: الكَثرَةُ. يُقَالُ: أَمْجَدتُ الرَّجُلَ سَبًّا وذَمًّا: أي أكثَرتُ[٦].

لوح: – اللوح: ما يكتب فيه من الخشب ونحوه، قال تعالى: ﴿ ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظٖ ﴾ ﴾[٧]

واللَّوْحُ: كل صفيحة عريضة من صَفائح الخشب. وفي التنزيل: ﴿ ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظٖ ﴾ يعني مســتودع مشــيئات الله، و إنما هو على المثل. وكل عظيم عريض لَوْحٌ، والجمع

(١) ينظر: الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول (ص: ٣٢)

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ١٠٥٢)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ٢١٠)

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٣/ ٢٧٣)

(٥) ينظر: مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي (٤/ ٢٢٠) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٩٨)

(٦) ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ١٨٤)

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة (٢/ ٣٥١)

منهما أَلْوَاح، وألاويحُ جمع الجمع[١]وهو أمُّ الكتاب عند الله جلَّ وعزَّ[٢]
محفوظ: حَفِظ: حَفِظْتُ الشيءَ حفِظاً، ومحفوظ اي: أي هو في حفظ الله تعالى[٣]
وقال ابن منظور: يَعْنِي مُسْتَوْدَع مَشِيئاتِ اللَّهِ تَعَالَى[٤]
ثالثًا: إعراب الآيات:

﴿ هَلْ ﴾: حرف استفهام للاستفهام التقريري ﴿ أَتَاكَ ﴾: فعل ماضٍ ومفعول به ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب مسوقة لتقرير شدة بطشه تعالى، ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾: بدل من ﴿ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ بدل كل من كل مجرور بالفتحة؛ لأنه غير منصرف للعلمية والعجمية، ولكنه على تقدير مضاف؛ أي: قوم فرعون، ﴿ وَثَمُودَ ﴾: معطوف على ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ مجرور بالفتحة للعلمية والتأنيث المعنوي، كزينب. ﴿ بَلِ ﴾: حرف عطف وإضراب عن محذوف إضرابًا انتقاليًا تقديره: ليس هؤلاء مثل من تقدم قبلهم من الأمم، بل هم أشد تكذيبًا ﴿ الَّذِينَ ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿ كَفَرُوا ﴾ صلة الموصول، ﴿فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾: خبر عن الموصول والجملة الاسمية معطوفة على تلك المحذوفة، ﴿ وَاللَّهُ ﴾ ﴿ الواو ﴾: عاطفة ﴿ الله ﴾: مبتدأ، ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ ﴾: متعلق بـ ﴿ مُحِيطٌ ﴾، و ﴿ مُحِيطٌ ﴾: خبر عن لفظ الجلالة، والجملة معطوفة على ما قبلها ﴿ بَلِ ﴾: حرف إضراب للإضراب الانتقالي عن بيان شدة كفرهم إلى وصف القرآن بما ذكر، والمعنى: ليس ما كذب هؤلاء مثل ما كذب من قبلهم، بل

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٩٩)
(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٨٥)
(٣) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٩/ ٦١٣٣)
(٤) ينظر: لسان العرب (٢/ ٥٨٤)

ما كذبوه ﴿ قُرْآنٌ ﴾ موصوف بهذه الصفات العالية، ﴿ هُوَ ﴾: مبتدأ ﴿ قُرْآنٌ ﴾: خبر ﴿مَجِيدٌ ﴾: صفة ﴿ قُرْآنٌ ﴾، والجملة معطوفة على تلك الجملة المحذوفة، ﴿فِي لَوْحٍ ﴾: صفة ثانية لـ ﴿ قُرْآنٌ ﴾، ﴿مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾: صفة لـ ﴿لَوْحٍ ﴾[1].

وجملة هل أتاك حديث الجنود مستأنفة، وجملة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ مستأنفة [2].

رابعًا: أوجه التفسير في الآيات:

ذكر خبر الجموع الكافرة، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾.

والمعنى: أي: هل جاءك يا محمد حديث الجنود الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروهِهم؟ أي: قد أتاك ذلك وعلمته. فاصبر لأذى قومك كما صبر من كان قبلك من الرسل الذي تجند قومهم عليهم.

والجنود هم الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى الأنبياء، ثم بين الجنود من هم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أي: قوم فرعون وأتباعه، وثمود[3].

والجملة مستأنفة فيها تقرير لكونه تعالى فعالا لما يريد وكذا شدة بطشه سبحانه بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم بالأشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصاب الجنود[4]

وقال ابن عاشور: الجنود: جمع جند وهو العسكر المتجمع للقتال. وأطلق على الأمم التي تجمعت لمقاومة الرسل كقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٣٠٨)

(٢) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٤/ ١٤٤٠)

(٣) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٨٧)

(٤) ينظر: روح المعاني للألوسي (٣٠/ ٩٣)

﴿١١﴾ [ص: ١١]واستعير الجند للملأ لقوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ [ص: ٦] ثم رشحت الاستعارة باستعارة مهزوم وهو المغلوب في الحرب فاستعير للمهلك المستأصل من دون حرب.

والاستفهام مستعمل في إرادة لتهويل حديث الجنود بأنه يسأل عن علمه، وفيه تعريض للمشركين بأنهم قد يحل بهم ما حل بأولئك ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النجم: ٥٠-٥٥].

والخطاب لغير معين ممن يراد موعظته من المشركين كناية عن التذكير بخبرهم لأن حال المتلبسين بمثل صنيعهم الراكبين رؤوسهم في العناد، كحال من لا يعلم خبرهم فيسأل هل بلغه خبرهم أو لا، أو خطابا لغير معين تعجيبا من حال المشركين في إعراضهم عن الاتعاظ بذلك فيكون الاستفهام مستعملا في التعجيب.

والإتيان: مستعار لبلوغ الخبر، والحديث: الخبر(١).

وأبدل فرعون وثمود من الجنود بدلا مطابقا لأنه أريد العبرة بهؤلاء.

والكلام على حذف مضاف لأن فرعون ليس بجند ولكنه مضاف إليه الجند الذين كذبوا موسى عليه السلام وآذوه. فحذف المضاف لنكتة المزاوجة بين اسمين علمين مفردين في الإبدال من الجنود.

وضرب المثل بفرعون لأبي جهل وقد كان يلقب عند المسلمين بفرعون هذه الأمة، وضرب المثل للمشركين بقوم فرعون لأنهم أكبر أمة تألبت على رسول من رسل الله بعثه الله لإعتاق بني إسرائيل من ذل العبودية لفرعون، وناووه لأنه دعا إلى عبادة الرب الحق فغاظ ذلك فرعون الزاعم أنه إله القبط وابن آلهتهم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٠)

وتخصيص ثمود بالذكر من بقية الأمم التي كذبت الرسل من العرب مثل عاد وقوم تبع، ومن غيرهم مثل قوم نوح وقوم شعيب. لما اقتضته الفاصلة السابعة الجارية على حرف الدال من قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] فإن ذلك لما استقامت به الفاصلة ولم يكن في ذكره تكلف كان من محاسن نظم الكلام إيثاره(١).

والآية تقرير لحال الكفرة، أي قد أتاك حديثهم، وما جرى لهم مع أنبيائهم، وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم، فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم.

وذكر ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدّمة، وذكر فرعون لشهرة قصته عند أهل الكتاب وعند العرب الجاهلية أيضاً. (٢).

وضمّ ثمود إليه دون غيرهم؛ لقرب بلادهم، ورعاية للفاصلة. والمعنى: قد أحطت علماً بتكذيبهم، وما حاق بهم؛ تسلية له وتهديد لقومه(٣).

قال ابن عجيبة في تفسير الآية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ أي: قد أتاك حديث الطاغية والأمم الخالية. وهو استفهام تشويق مقرر لشدّة بشطه تعالى بالظَلَمة العصاة، والكفرة العتاة. وكونه فعال لما يُريد مع تسليته صلى الله عليه وسلم بأنه سيصيب قومه – صلى الله عليه وسلم– ما أصاب تلك الجنود. ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾؛ بدل من الجنود؛ لأنَّ المراد بفرعون هو وقومه. والمراد بحديثهم: ما صدر منهم من التمادي على الكفر والضلال، وما حلّ بهم من العذاب والنكال، أي: قد أتاك حديثهم، وعرفت ما فعل بهم، فذكّر قومك ببطش الله تعالى، وحذّرهم أن يُصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم(٤).

ثم أشار الله تعالى إلى أن هذا شأن الكفار وصنيعهم في كل زمان.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥١)

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط (٨/ ٤٤٥)

(٣) ينظر: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص: ٣٦٦)

(٤) ينظر: البحر المديد (٨/ ٤٢٧)

ولكونهم لم يؤمنوا، قيل إضرابًا عنهم: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك يا محمد.

﴿فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ لك وللقرآن؛ كدأبِ مَنْ قبلهم(١).

بل الذين كفروا في تكذيب: إضراب انتقالي إلى إعراضهم عن الاعتبار بحال الأمم الذين كذبوا الرسل وهو أنهم مستمرون على التكذيب منغمسون فيه انغماس المظروف في الظرف فجعل تمكن التكذيب من نفوسهم كتمكن الظرف بالمظروف.

وفيه إشـــارة إلى أن إحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بالمظروف لا يترك لتذكر ما حل بأمثالهم من الأمم مسلكا لعقولهم، ولهذا لم يقل بل الذين كفروا يكذبون كما قال في سورة الانشقاق.

وحذف متعلق التكذيب لظهوره من المقام إذ التقدير: أنهم في تكذيب بالنبيء صلى الله عليه وسلم وبالوحي المنزل إليه وبالبعث(٢).

ولقد كانت عاقبة جنود فرعون وثمود، الهلاك والدمار، بســـبب إصـــرارهم على كفرهم، ولكن قومك– أيها الرسـول– لم يعتبروا بهم، بل اسـتمروا في تكذيبهم لك، وفي إعراضهم عنك، والله محيط بهم إحاطة تامة، ولن يفلتوا من عقابه بأية حيلة من الحيل، فهم تحت قبضته وسلطانه، وسينزل بهم بأسه في الوقت الذي يريده(٣).

وبعد تطييب قلب الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم بحكاية أحوال الأولين وموقفهم من الأنبياء، سلّاه بعد ذلك من وجه آخر، فقال: وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ.

---

(١) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (٧/ ٣٣٢)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥٢)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٤٨)

وإطلاق لفظ المحيط على الله مجاز، لأن المحيط بالشـــيء هو الذي يحيط به من كل جوانبه، وذلك من صـفات الأجسـام، لكنه تعالى لما كان عالما بكل الأشـياء قادرا على كل الممكنات، جاز في مجاز اللغة أنه محيط بها(١)

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ أي يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون. والمحاط به كالمحصور. وقيل: أي والله عالم بهم فهو يجازيهم(٢).

فهو محيط بهم إحاطة تامة، ولن يفلتوا من عقابه بأية حيلة من الحيل، فهم تحت قبضته وسلطانه، وسينزل بهم بأسه في الوقت الذي يريده(٣).

ومنها: تأخير ﴿ ثَمُودَ ﴾ عن ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ مع تقدمهم على فرعون زمانًا في قوله: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ لرعاية الفواصل.

ومنها: تنكير التكذيب في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾؛ لإفادة التعظيم، كأنه قيل: ليسوا مثلهم في ذلك، بل هم أشد منهم في الكفر والطغيان والتكذيب.

ومنها: المجاز المرسل أيضًا في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ علاقته الحالية؛ لأن التكذيب معنى من المعاني، ولا يحل الإنســـان فيه، إنما يحل في مكانه، فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحالية.

ومنها: الاســـتعارة التمثيلية(٤) في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ حيث مثل عدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط به عن المحيط الذي ســـد عليه مســـلكه، بحيث لا يمكنه الهرب منه(٥).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٨/ ٣٤٤)

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٨)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٤٨)

(٤) ينظر: شرح شذور الذهب للجوجري (٢/ ٤٢٠)

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٣١٣)

ثم ردّ على تكذيبهم بالقرآن، فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أي إن هذا القرآن الذي كذبوا به شريف الرتبة في نظمه وأسلوبه حتى بلغ حدّ الإعجاز، متناه في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون: إنه شعر وكهانة وسحر. وإنما هو كلام لمصون عن التغيير والتحريف، المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾[الواقعة: ٧٧، ٧٨]. أي أن الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحد.

قال بعض المتكلمين: اللوح شيء يلوح للملائكة، فيقرءونه، وأمثال هذه الحقائق مما يجب به التصديق سمعا، أي أن اللوح المحفوظ شيء أخبرنا الله به، فيجب علينا الإيمان به كما أخبر الله، وإن لم نعرف حقيقته(١).

ثم رد على تماديهم في تكذيب القرآن، وادعائهم أنه أساطير الأولين فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾؛ أي: ليس الأمر كما قالوا، بل هذا الذي كذبوا به قرآن شريف عال الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى، متضمن للمكارم الدنيوية والأخروية(٢)

و إن هذا الكلام إضراب عن تكذيب القرشيين وإبطال له ورد عليه، بالإخبار بأن هذا الكتاب قرآن مجيد، أي لا مذمة فيه، وهو كلام الله المنزل من اللوح المحفوظ الذي فيه جميع الأشياء. واللوح المحفوظ: شيء أخبرنا الله به، فيجب علينا الإيمان به، كما أخبر الله تعالى، وإن لم نعرف حقيقته، والغيبيات المجهولة عنا كثيرة، الجهل بها ينشر الهيبة، ويشيع الخوف من مفاجآتها(٣).

وتقرر الآية حقيقة القرآن، وثبات أصله وحياطته: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ مما يوحي بأن ما يقرره هو القول الفصل والمرجع الأخير، في كل الأمور.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٦٩)

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٣٠٤)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢٨٥٧)

ويدل قوله – سبحانه –: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ إضراب انتقالى، من بيان شدة تكذيبهم للحق، إلى بيان القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أى: ليس الأمر كما قال هؤلاء المشركون فى القرآن من أنه أساطير الأولين.. بل الحق أن هذا القرآن هو كلام الله – تعالى – البالغ النهاية فى الشرف والرفعة والعظمة.

وأنه كائن فى لوح محفوظ من التغيير والتبديل، ومن وصول الشياطين إليه. ونحن نؤمن بأن القرآن الكريم كائن فى لوح محفوظ، إلا أننا نفوض معرفة حقيقة هذا اللوح وكيفيته إلى علمه – تعالى –، لأنه من أمر الغيب الذى تفرد الله – تعالى – بعلمه.. وما قيل فى وصف هذا اللوح لم يرد به حديث صحيح يعتمد عليه(١).

و ﴿ قرآن ﴾: مصدر قرأ على وزن فُعلان الدال على كثرة المعنى مثل الشكران والقربان. وهو من القراءة وهي تلاوة كلام صدر في زمن سابق لوقت تلاوة تاليه بمثل ما تكلم به متكلمه سواء كان مكتوباً في صحيفة أم كان ملقَّناً لتاليه بحيث لا يخالف أصله ولو كان أصله كلام تاليه ولذلك لا يقال لنقل كلام أنه قراءة إلا إذا كان كلاماً مكتوباً أو محفوظاً.

وكلما جاء ﴿ قرآن ﴾ منكراً فهو مصدر وأما اسم كتاب الإسلام فهو بالتعريف باللام لأنه عَلَم بالغلبة.

فالإخبار عن الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم باسم قرآن إشارة عرفية إلى أنه موحى به تعريض بإبطال ما اختلقه المكذبون: أنه أساطير الأولين أو قول كاهن أو نحو ذلك.

ووُصف ﴿ قرآن ﴾ صفة أخرى بأنه مُودع في لوح(٢).

---

(١) ينظر: الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٤٤٨٠)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/ ١٢٤)

ووصـف بالمجيد والمجيد: العظيم في نوعه كما تقدم في قوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥] ومجد القرآن لأنه أعظم الكتب السـماوية وأكثرها معاني وهدياً ووعظاً، ويزيد عليها ببلاغته وفصاحته وإعجازه البشر عن معارضته(١).

خامسًا: المعنى الإجمالي للآيات:

بيَّن الله – عز وجل –حال الكفار في كل عصر، وشأنهم مع كل نبي وشيعته جارٍ على هذا النهج، فهم دائمًا يؤذون المؤمنين ويعادونهم، ولم يرسـل الله نبيًا إلا لقي من قومه مثل ما لقي هؤلاء من أقوامهم، وفي ذلك تسلية النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه، وشد عزائمهم على التذرع بالصبر، وأن كفار قومه سيصيبهم مثل ما أصاب الجنود فرعون وثمود. فالكفار في كل عصـر متشـابهون، وأن حالهم مع أنبيائهم لا تتغير ولا تتبدل، فهم في عنادهم واستكبارهم سواسية كأسنان المشط، الكفار في كل عصـر غارقون في شـهوة التكذيب حتى لم يدع ذلك لعقلهم مجالًا للنظر، ولا متسـعًا للتدبر، ولا يزالون في غمرة حتى يؤخذوا على غرة، لأن الله محيط بهم ومطَلع عليهم، ثم رد على تماديهم في تكذيب القرآن، وادعائهم أنه أسـاطير الأولين بقوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾﴾؛ فالأمر ليس كما قالوا، بل هذا الذي كذبوا به قرآن شـريف عال الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى، متضمن للمكارم الدنيوية والأخروية، وهذا القرآن مكتوب ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ من التحريف ووصول الشياطين إليه (٢)

سادسًا: ما ترشد إليه الآيات

١–تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة.

٢–فائدة القصص هي الموعظة تحصل للعبد فلا يترك واجباً ولا يغشى محرما.

٣– بيان إحاطة الله تعالى بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه.

٤–شرف القرآن الكريم. وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره.

٥–الإيمان بالقرآن. وأنه ليس بكلام بشر. بل هو منزل من عند الله تعالى.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٣٢/ ١٢٥)

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣١/ ٢٨٥) بتصرف كثير

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث. بعد الانتهاء بعون الله ومدده من التفسير التحليلي للسورة. أذكر جملة من الدروس المستفادة والنتائج التي توصلت إليها من خلال تفسير السورة الكريمة. وهي كما يلي:

١- إن الله – عز وجل – له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته. ودلالة على عظم هذه المخلوقات ليدل بذلك على عظمته وقدرته.

٢- في قصة أصحاب الأخدود دروس وعظات وتذكير للمؤمنين بالصبر على ما يلاقونه من الأذى والآلام، والمشقات التي يتعرضون لها في كل زمان ومكان ليتأسوا بصبر المؤمنين وتصلبهم في الحق وتمسكهم به، وبذلهم أنفسهم من أجل إظهار دعوة الله.

٣- أن الله سبحانه وتعالى قد يسلط أعداءه على أوليائه، ليزداد الكفار إثمًا على إثمهم، ويمحص الله المؤمنين بهذا الابتلاء، ليجازيهم على ابتلائهم.

٤- شدة بطش الله عز وجل بأعدائه، وأن أخذه أليم وعقابه شديد.

٥- أن هؤلاء الكفار لم يأخذوا على المسلمين بذنب إلا شيئاً واحداً وهو: أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، وهذا ليس بذنب، بل هذا هو الحق، ومن أنكره فهو الذي ينكر عليه.

٦- أن الله عز وجل يقبل توبة عبده وهذا من سعة فضله ومغفرته.

٧- وجوب الإيمان بالعرش وأنه أعظم المخلوقات.

٨- للقرآن شأن عظيم فهو كلام رب العالمين.

٩- الإيمان بالغيبيات ومنها اللوح المحفوظ وفيه مقادير الخلق ولا يعتريه تغيير.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م
- إعراب القرآن الكريم، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ
- إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)
- إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- بحر العلوم .، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي
- البحر المديد ـــ، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ.
- بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المؤلف: نخبة من العلماء.

- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، الناشر: إحياء الكتب العربية، تحقيق: علي محمد البجاوى.
- التبيان في أيمان القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)، المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة.
- تحبير التيسير في القراءات العشر، المؤلف: ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار النشر: دار الفرقان – الأردن / عمان – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.
- التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م
- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ
- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
- تفسير البحر المحيط ـ، المؤلف: العلامة أبو حيان الأندلسى، عدد الأجزاء / ٨، دار النشر / دار الفكر

- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ
- تفسير التستري، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ).
- تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي.
- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠.
- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د، مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- التفسير المظهري، المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- تفسير عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د، محمود محمد عبده.
- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ (١)_ ينظر: مفردات القرآن للشيخ المراغى (ص: ٦٥٢).
- التيسير فى القراءات السبع، المؤلف / الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار النشر / دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ – ٣١٠ هـ]، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م
- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، (٣٤١/٨) المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت
- حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، للامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله دكتوراه في علوم القران استاذ بكلية الدراسات الاسلامية بالازهر، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول من فاتحة الكتاب حتى الاية ٩١ من سورة آل عمران
- ، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، مكان النشر لبنان/ بيروت
- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، المؤلف: د، مُساعِدُ بن سُلَيْمَان بن نَاصِر الطَّيَّار.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي

الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود
- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: ٨٩٣هـ)، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، الناشر: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م
- الغريبين في القرآن والحديث، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د، جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د، محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، المؤلف: محمد حبش، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٠/١٦٤) لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت
- اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٢٤٤) لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، البلد: القاهرة.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر
- المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر:، ١٩٨١ م،
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أ، د، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أ، د، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ
- مجمع البحرين ومطلع النيرين (معجم لغوي شيعي)، المؤلف: فخر الدين الطريحي (المتوفى: ١٠٨٥ هـ)، الناشر: مكتبة المرتضوي – طهران/ إيران، الطبعة: الثانية – ١٣٦٥ هـ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني

- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر:
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ٢٠٠٠م.
- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- مختار الصحاح – المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥، تحقيق: محمود خاطر، المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف، على ألفية ابن مالك.
- المذكرات النحويه،، شرح الألفيه، بقلم: الدكتور عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الأهدل
- مشكل إعراب القرآن، المؤلف: مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥، تحقيق: د، حاتم صالح الضامن، مصدر الكتاب: اقتباس من تفسير الشيخ عليه سحائب الرحمة والرضوان.
- معالم التنزيل، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦هـ]
- معانى القرآن للأخفش، المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.

- معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.
- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، المؤلف: د، محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة (١)_ ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (٣/ ٥٢١).
- مفاتيح الغيب، للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠، الطبعة: الأولى.
- مفردات القرآن للشيخ المراغى، المؤلف: فضيلة الشيخ / أحمد مصطفى المراغى.
- مقاييس اللغة، المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م،
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، المؤلف: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)،

تقديم وإشراف ومراجعة: د، رفيق العجم، تحقيق: د، علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د، عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د، جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م
- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، المؤلف: الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، عدد الأجزاء / ٨، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٤ هـ،
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ، د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي.

فهرس الموضوعات:

ملخص البحث ٧٥٠

المقدمة: ٧٥٢

أهمية الموضوع: ٧٥٣

إشكاليات البحث: ٧٥٣

حدود البحث: ٧٥٤

أسباب اختيار الموضوع: ٧٥٤

الدراسات السابقة ٧٥٧

التعريف بالسورة الكريمة وفيه خمسة مطالب: ٧٥٨

المطلب الأول: نوع السورة الكريمة وعدد آياتها: ٧٥٨

المطلب الثاني: أسماؤها وسبب التسمية: ٧٥٨

المطلب الثالث: مقصود السورة الأعظم: ٧٦٠

المطلب الرابع: مناسبتها لما قبلها ٧٦١

المطلب الخامس: فضل سورة البروج: ٧٦٢

التفسير التحليلي لسورة البروج: ٧٦٣

الفصل الأول: عظمة الله تعالى وقدرته، ويشتمل على ثلاثة مباحث: ٧٦٣

المبحث الأول: القسم بالسماء ذات البروج: ٧٦٣

المبحث الثاني: إقسام الله تعالى باليوم الموعود ٧٦٨

المبحث الثالث: القسم بالشاهد والمشهود ٧٧١

الفصل الثاني: قصة أصحاب الأخدود ٧٧٦

المبحث الثاني: وعيد الله عز وجل للطغاة المتكبرين وثوابه للمؤمنين الصابرين. ٧٨٩
الفصل الثالث: وعيد الله وتأكيده وذكر بعض صفات الله تعالى ٧٩٩
الفصل الرابع: تسلية النبي صلّى الله عليه وسلّم والصبر على تكذيب قومه... ٨١٤
الخاتمة ٨٢٦
المصادر والمراجع ٨٢٧
فهرس الموضوعات: ٨٣٨